الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسـم العلوم الإنسانية
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

أولياء عنابـة في العصر الوسيط

ق6-11هـ/ ق12-17م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:
-بولكلوك نور الهدى
- خلفة إسمهان

إشـــراف:
د. سعيد شريـدي

لجنة المناقشة:

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
		رئيسا	جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة
د. سعيد شريدي	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	**جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة**
			جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة

السنة الجامعية: 2024-2025م/1445-1446هـ

بسم الله الرّحمـن الرّحيم

إهـــــداء:

إلى النبع الأول، إلى من زرع المحبة في قلبي منذ البدء...
إلى أمي العزيزة الغالية، يا من نالت من التعب ما نالت، وصبرت كي أرتاح، وبذلت من قلبها ووقتها وروحها ما لا يُحصى... لكِ كل هذا الجهد، وكل هذا النور، وكل هذا الحب.
وإلى أبي، السند الثابت، الذي اجتهد دون كلل ليهيّئ لي سبل الاستمرار، وجاهد بصمت الأبوة وعزيمتها كي لا ينقصني شيء... هذا العمل ثمرة تعبك، وعنوان وفائك.
إلى إخوتي الأحبة: عبد الرحيم، محمد نذير، سراج الدين، عبد المؤمن...كنتم دومًا العون حين يثقل الحمل، والصوت الذي يهمس في لحظات التردد
وإلى أختي الغالية حفصة، يا زهرة القلب، يا بهجة البيت، لك مني محبة واعتزازًا لا تصفهما الكلمات.
إلى ابنة عمّي دلال، رفيقة الودّ الصادق.
إلى زميلتي ورفيقة دربي، أسمهان خلفة، يا من تقاسمتِ معي لحظات القلق، والتعب، والانتصار... كان الطريق أيسر برفقتك.
وإلى الصديقة أمينة بوالعينين... عربون مودة
إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع

نور الهدى

إهـــــداء:

إلى أبي الغالي، فيض الحب كله، ونبع العطاء الذي لا ينضب... يا من زرعت في دربي الثبات، وكنت القدوة والملاذ، إليك أهدي هذا العمل عرفانًا بحبّك الذي علّمني كيف أقف كلما تعثرت.

إلى أمي الشريفة الطاهرة، يا سندي وملاذي، يا من في دعائك استقوت روحي، وفي صبرك نضجت أحلامي... أنتِ الأصل، وأنتِ المبتدأ، وكل ما يأتي من خير بعدك هو بعض من بركتك.

إلى إخوتي الأعزاء :عبد الرحيم، سفيان، هارون، وائل، أيوب ...أنتم الأجنحة التي يحلّق بها قلبي، وأصواتكم كانت في الغياب حضورًا يؤنس وحدتي. فلكم من القلب وردة، ومن الذاكرة سكن لا يزول.

إلى رفيقة دربي، هدى بولكلوك، يا من شاركتني الطريق بكل ما فيه من تعبٍ وأمل، ضحكٍ وسهر، كان وجودك في دراستي عزاءً وسندًا لا يعوّض.

وإلى الصديقة أمينةبوالعينين... عربون مودة.

إلى كل أهذي هذا الجهذ المتواضع

إسمهان

شكر وعرفان:

بكل محبة وامتنان، نسجل في مبتدأ هذا العمل كلمات عرفان تفيض تقديرًا لكل من كان له أثر في إنجاز هذا العمل، ولكل من وضع لبنة في صرح هذا الجهد العلمي المتواضع.

إلى أستاذنا المشرف الدكتور سعيد شريدي، نخصّكم بأسمى آيات الشكر والعرفان، إذ كنتم النبراس الذي أنار لنا طريق البحث، بما منحتمونا إياه من وقتكم الثمين، وتوجيهاتكم السديدة، وملاحظاتكم الدقيقة.

ولا يسعنا كذلك إلا أن نخصّ الزميلة أحمد سعيد خولة بامتنانٍ خالص، فقد كانت بحق عونًا وسندًا، فشكراً لها على روحها الإيجابية.

كما نتوجه بخالص الشكر لكل من مدّ لنا يد العون، خصوصاً في مراحل التدقيق اللغوي والأسلوبي، أولئك الذين كانت ملاحظاتهم مرآة صافية ننقّح بها النص ونبلور بها الفكرة.

شكرا لأساتذتنا الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بمعارفهم وخبراتهم وتوجيهاتهم طيلة سنوات الدراسة في هذا القسم.

شكرا للطاقم الإداري الكريم بقسمنا، وعلى رأسهم رئيس القسم د. سماعلي عمار والأستاذة د. ساحلي آسيا، الذين قابلانا دومًا بحُسن الإنصات وتفهّم الظروف

فلكل هؤلاء، نقول: شكرًا من القلب، وبارك الله في جهدكم وعطائكم.

مقدمة

مقدمــة:

تُعدّ مدينة "بونة"، عنابة الحالية، منحواضر المغرب الإسلامي البارزة التي لعبت دورًا مهمًا في الحياة الدينية والثقافية خلال العصر الوسيط. وقد عُرفت عنابة، التي كانت تُسمّى في العصور القديمة بـ هيبون" ثم "بونة"، بكونها مركزًا حضريًا ذا إشعاع روحي وعلمي، وفي هذا السياق برزت عنابة كمركز هام من مراكز التصوف والزهد واحتضنت عددا من الأولياء والصالحين الذين ساهموا في ترسيخ الممارسات الروحية والاجتماعية ذات الطابع الصوفي، ولم يكن حضور هؤلاء الأولياء مجرد ظاهرة دينية صرفة، بل ارتبط كذلك بتحولات مجتمعية وثقافية حيث شكلوا رموزا للاستقرار والهوية المحلية، ولعبوا أدوارا مركزية في نسج العلاقة بين السلطة السياسية والمجتمع، وفي نشر التعاليم الأخلاقية والدينية.

وضمن هذا البحث الموسوم بعنوان: **"أولياء عنابة في العصر الوسيط ق6هـ-11هـ"**نسعى لتقديم عرض تاريخي لأبرز أولياء عنابة، نبحث من خلاله في عوامل نشوء الظاهرة الولائية في واحدة من الحواضر الإسلامية المغاربية في العصر الوسيط، التي احتضنت أعلاما صوفية حملت تمثلات كرامية أمثال: أبي مروان الشريف، والهواري، والبوني صاحب "شمس المعارف الكبرى" وغيرهم. ولا نقتصر فقط على عرض الأعلام بل نحاول أن نحلل الظروف الاجتماعية والسياسية والأمنية التي ساهمت في بروزهم واحتلالهم المكانة الدينية في المجتمع العنابي الوسيط.

أهمية الموضوع:

لقد تم اختيار هذا الموضوع بناءً على جملة من الاعتبارات العلمية والمنهجية، يأتي في مقدمتها اقتراح الأستاذ المشرف، الذي نبهنا إلى أهمية مدينة عنابة باعتبارها مجالًا صوفيًا وحضاريًا بارزًا في العصر الوسيط. ويكتسب الموضوع أهميته من كونه يكشف عن تداخل واضح بين المجالين الديني والسياسي في تلك الحقبة، مما يسمح بفهم أعمق لدور الأولياء في تشكيل المشهدين الروحي والسياسي للمنطقة. كما أن قلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال تمثل دافعًا إضافيًا، إذ أن تناول موضوع أولياء عنابة وزواياهم يسد فراغًا في الكتابات التاريخية، ويسهم في إبراز جانب مهم من التراث الديني والثقافي لمدينة عنابة، لا يزال إلى اليوم بحاجة إلى مزيد من التمحيص والبحث الأكاديمي الجاد.

لقد حظي موضوع الولاية الصوفية في المغرب الإسلامي، بأهمية خاصة ضمن الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تتناول العصر الوسيط. غير أن حظور عنابة ضمن هذه الدراسات كان ضئيلا جدا، إذا استثنينا بعض جهود الهواة الذين اهتموا بالموضوع في سبيل إحياء ذاكرة المدينة رغم أن الأولياء في هذه المدينة الساحلية يشكلون محوراً رئيسياً للحياة الدينية والروحية، وكان لهم حضور فعّال في المشهد الاجتماعي والسياسي، ليس فقط باعتبارهم رموزًا للتقوى والصلاح، بل أيضًا كوسطاء بين السلطة والمجتمع المحلي.

الدراسات السابقة في الموضوع:

تُعدّ الأبحاث التاريخية التي تناولت موضوع الولاية والفكر الولائي في مدينة عنابة شحيحة إلى حد كبير، بل تكاد تكون منعدمة، رغم ما تكتنزه هذه المدينة من رمزية دينية وتاريخية بالغة في السياقين الوسيط والحديث. فباستثناء بعض الإشارات العامة في مؤلفات تناولت التصوف في الجزائر، فإن الدراسات الأكاديمية التي خصّت موضوع الأولياء وزواياهم في عنابة بالتفصيل والتحليل لا تزال نادرة، وهو ما يبرّر أهمية الاشتغال على هذا الموضوع وسدّ هذا الفراغ المعرفي.

من بين الدراسات القليلة ذات الصلة، يمكن الإشارة إلى مداخلة مخطوطة ألقيت في ملتقى علمي بجامعة عنابة[1] للباحث سعيد شريدي بعنوان "الولاية والمجتمع في عنابة خلال الفترة الحديثة (القرن 16–19م)"، وهي دراسة قيّمة أفادتنا بشكل كبير في تناول البعد الرمزي والديني لشخصيات الأولياء بالمدينة، من خلال تحليل علاقاتهم بالمجتمع والسلطة والفضاء العمراني. وقد أبرز شريدي في دراسته دور الضريح كمكوّن أساسي في تشكيل الذاكرة الجماعية، وكمجال لتنامي سلطة الولي الرمزية عبر سرديات الكرامات والخطاب الشعبي، متتبعًا مختلف الروايات الشفوية والمدونة التي نسجت حول أولياء عنابة ومكانتهم في المخيال الجمعي المحلي.

[1]-سعيد شريدي: الولاية والمجتمع في عنابة خلال الفترة الحديثة، مداخلة ضمن أعمال الملتقى الوطني حول "الحراك الاجتماعي والاقتصادي في مدينة عنابة ومنطقتها خلال الحقبة الحديثة ق20/16م" قسم التاريخ جامعة باجي مختار-عنابة – 03ديسمبر 2023(مداخلة مخطوطة)

أما الدراسة الثانية، فهي ما أنجزه الباحث مرزوق بتّة حول مدينة بونة خلال العصر الوسيط، حيث قدّم تعريفًا دقيقًا ومفصلًا للمدينة، معتمدًا على المصادر الوسيطية والجغرافيا التاريخية، وهو ما ساعدنا على تأطير المجال المكاني والزماني الذي تنشط فيه الظاهرة الولائية محل البحث، وربطها بسياقها الحضري والاجتماعي في تلك المرحلة.

إشكالية الموضوع:

وأما الإشكالية المطروحة في هذا الموضوع فيمكن تلخيصها ضمن السؤال المحوري التالي:

ما هي أبرز تمظهرات الفكر الولائي في "بونة" وإلى أي مدى ساهمت كرامات أولياء عنابة في العصر الوسيط في بناء مكانتهم الرمزية وترسيخ حضورهم في الذاكرة الجماعية الثقافية الذهنية؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

-ماهي أبرز الأسماء الولائية في عنابة في العصر الوسيط؟

-ما طبيعة الكرامات المنسوبة إلى أولياء عنابة في العصر الوسيط؟

-كيف تم توظيف هذه الكرامات في بناء صورة رمزية للأولياء داخل المخيال الجماعي؟

-ما مدى تأثير هذه الكرامات على ممارسات الناس الدينية والإجتماعية في محيطهم المحلي؟

منهج البحث في الموضوع:

فرضت علينا طبيعة هذا الموضوع ومعارفه المتشعبة، إعتماد المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقتضي تتبع ظاهرة الولاية في المدينة ضمن سياقها الزمني، مع محاولة فهم خلفياتها الدينية والاجتماعية والسياسية، وذلك من خلال تحليل المعطيات التاريخية الواردة في المصادر والمراجع المتاحة.

خطة الموضوع:

للإجابة حول الإشكالية الرئيسية للموضوع وتساؤلاتها الفرعية وضعنا خطة اشتملت على ثلاثة فصول كل فصل ضم أربعة مباحث، الفصل الأول وهو بمثابة "التصوف في الغرب الإسلامي(الأصول والإنتشار)"، تضمن أربعة مباحث المبحث الأول خصصناه لنشأة التصوف الإسلامي، والمبحث الثاني للتصوف في المغرب الإسلامي، والمبحث الثالث لأبرز ملامح الفكر الصوفي المغاربي(الشخوص

والطقوس)، أما المبحث الرابع حول ظاهرة الولاية في الفكر الصوفي المغاربي، أما الفصل الثاني فجاء بعنوان عنابة المدينة والمجتمع في العصر الوسيط، تضمن هو الآخر أربعة مباحث المبحث الأول بعنوان عنابة في مصادر العصر الوسيط، والمبحث الثاني حول المجال العنابي وحدوده، أما المبحث الثالث تطرقنا إلى المجتمع العنابي وعلاقاته الخارجية، أما فيما يخص المبحث الرابع تحدثنا على الحياة الدينية في عنابة الوسيطية، بينما جاء الفصل الثالث تحت عنوان الظاهرة الصوفية في عنابة في العصر الوسيط وبداية الفترة الحديثة قسمناه هو الآخر إلى ثلاثة مباحث الأول أبرز أولياء عنابة والثاني السرديات الكرامية لأولياء عنابة،، والثالث والأخير حول أضرحة عنابة(كثافة الانتشار الصوفي)، وأنهينا الفصول بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلنا إليها بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

مصادر البحث في الموضوع:

في سياق إعداد هذه المذكرة تم الاعتماد على جملة من المصادر التراثية التي أمدتنا بأسس علمية ومعرفية متينة، وأسهمت في بناء الإطار المفاهيمي والتحليلي للموضوع ويمكن إبراز أهم هذه المصادر وفق الآتي:

يأتي في مقدمتها كتاب الكلابادي "**التعرف لمذهب أهل التصوف**" يعد من أقدم المصادر التي تناولت التصوف بالشرح والتحليل وقد أفادنا بشكل جوهري في تعريف التصوف من الناحية اللغوية والاصطلاحية فقد عرض لمفهوم التصوف بوصفه مسلكا روحانيا ارتبط بالتزكية والزهد مبينا اختلاف الآراء حول أصل التسمية مما مكننا من الوقوف على الجذور المفهومية لهذا التيار الروحي الذي انتشر في بلاد المغرب الإسلامي، ومنها مدينة عنابة.

ومن المصادر التي أفادتنا أيضا نجد الطوسي "**اللمع في التصوف**" الذي كان لكتابه دورا مكملا في فهم تطور المفهوم الصوفي ومضامينه فقد أفادنا هذا المصدر في توسيع أفق النظر إلى التصوف بوصفه منهجا سلوكيا وروحيا منضبطا بالقواعد حيث ركز على الجوانب المصطلحية والسلوكية التي ميزت الصوفية الأوائل مما ساعدنا على تأطير الخلفية النظرية لظاهرة الأولياء في مدينة عنابة خلال العصر

الوسيط. بالإضافة إلى كتاب القشيري "الرسالة القشيرية" تعد رسالة القشيري من النصوص المرجعية في التراث الصوفي وقد استفدنا منها بشكل خاص في تحديد تعريف التصوف اصطلاحا كما قدمت لنا تصورا عن أحوال الصوفية وسلوكهم، فضلا عن عرضها لأسماء وطبقات بعض الأولياء الأمر الذي أضاء لنا السياق المفاهيمي الذي كانت تفهم من خلاله الولاية والصلاح في المجتمعات الإسلامية الوسيطة. ومن المصادر المهمة في بحثنا أيضا نجد الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة لمؤلفه أبي عبد القاسم البوني الذي أفادنا في تعريف الأولياء ومراتبهم مع عرض سرديات عن كراماتهم وسلوكهم، وإبراز العلاقة بين الولاية والعلم والتقوى في السياق المحلي لمدينة بونة وتقديم معلومات جغرافية وتاريخية عن المدينة، مما مكننا من التعريف ببونة من خلال شهادة أحد أعلامها فساهم ذلك في تأطير الظاهرة الولائية ضمن خصوصياتها المجالية والثقافية ، إن كتاب الدرة المصونة لم يكن مجرد عمل تراجم بل شكل نافذة لفهم الذهنية الدينية والاجتماعية في عنابة خلال العصر الوسيط من خلال ما قدمه من مرويات وحكايات حول الصلحاء والأولياء، كما وفر لنا هذا المصدر مادة سردية غنية حول أهم الأضرحة والزوايا التي انتشرت في المدينة. نجد كذلك كتاب **التعريف ببونة** للبوني فضلا عن مؤلفاته في التصوف قدم لنا إشارات جغرافية وتاريخية مهمة عن مدينته بونة مبرزا خصوصياتها الروحية والعلمية وقد أفادتنا هذه الإشارات في ربط الظاهرة الولائية بالسياق المحلي للمدينة مما أسهم في إبراز الخصوصية الدينية والاجتماعية لعنابة خلال العصر الوسيط، كما أفادنا في التعريف بمدينة عنابة في العصر الوسيط من حيث موقعها وأهميتها الدينية ومسار انتشار الصوفية فيها، مما سمح لنا بتأطير موضوع المذكرة في سياقه المجالي والزماني بدقة.

صعوبات الاشتغال على الموضوع:

لقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء قيامنا بالبحث أبرزها شح المصادر والمراجع التي اعتنت بالموضوع، فمن أبرز التحديات التي اعترضت سبيلنا هي قلة المصادر الأساسية التي تناولت أولياء عنابة في العصر الوسيط بشكل مباشر ومفصل. فمعظم المؤلفات التراثية المتوفرة تطرقت إلى التصوف في المغرب الإسلامي عامة دون تخصيص دقيق لمنطقة عنابة. بالإضافة إلى غياب التوثيق الكافي

للسرديات الكرامية حيث واجهتنا صعوبة في توثيق السرديات المتعلقة بالكرامات المنسوبة للأولياء نظرا لاعتمادها غالبا على الرواية الشفوية أو مصادر متأخرة، مما فُرض علينا التعامل النقدي معها ومحاولة التمييز بين ما هو سرد ديني تعبدي وما له خلفية اجتماعية أو تاريخية، ودفعنا إلى التركيز بشكل كبير على جهود الباحث سعيد شريدي في مداخلته المذكورة سابقا.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذنا المشرف سعيد شريدي الذي كان له الفضل الكبير في توجيهنا ومرافقتنا طيلة مراحل إعداد هذا البحث لما أبداه من دعم علمي ونصائح ثمينة ساهمت في إغناء مضمون هذا العمل وتدقيقه لغويا وأسلوبيا، كما لا يفوتنا أن نعبر عن امتناننا العميق لزميلتنا أحمد سعيد خولة التي كانت سندا حقيقيا لنا بصبرها وتفانيها في الإجابة عن جميع تساؤلاتنا ومساعدتنا كلما احتجنا إلى توضيح أو دعم، فكل الشكر والتقدير لها على روحها الإيجابية وتعاونها المستمر، ونشكر كل الذين قدموا لنا يد المساعدة، لا سيما في التدقيق اللغوي والأسلوبي لهذه المذكرة.

الفصل الأول:

التصوف في الغرب الاسلامي

(الأصول والانتشار)

المبحث الأول: نشأة التصوف الإسلامي

المبحث الثاني: ظهور التصوف ببلاد المغرب الإسلامي

المبحث الثالث: بواكير الفكر الصوفي المغاربي

المبحث الرابع: ظاهرة الولاية في الفكر الصوفي المغاربي

تقديم الفصل:

يمثل التصوف بُعدًا جوهريًا في البنية الدينية والفكرية للغرب الإسلامي، حيث اتخذ منذ نشأته مسارات مميزة في التلقي والممارسة، متفاعلًا مع السياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية للمنطقة. وإذا كانت جذور التصوف الإسلامي قد تمتد إلى العهود الأولى للإسلام، فإن ظهوره في بلاد المغرب الإسلامي قد ارتبط بظروف محلية خاصة، ساعدت على تبلوره وتوطينه ضمن النسق الديني والثقافي العام.

يأتي هذا الفصل لعرض ملامح التصوف في الغرب الإسلامي من حيث الأصول والانتشار، عبر أربعة مباحث؛ يُعنى المبحث الأول بتتبع نشأة التصوف الإسلامي، بينما يتناول المبحث الثاني كيفية ظهور التصوف ببلاد المغرب الإسلامي، مع إبراز عوامل انتشاره وتفاعله مع التقاليد الدينية المحلية.

أما المبحث الثالث، فيتطرق إلى بواكير الفكر الصوفي المغاربي، من خلال استعراض أوائل المتصوفة المغاربة الذين أسسوا لرؤية روحية مستقلة، ومهدوا لظهور طرق صوفية محلية. ويُختتم الفصل بـ المبحث الرابع الذي يسلّط الضوء على ظاهرة الولاية بوصفها إحدى السمات المركزية في الفكر الصوفي المغاربي، بما تنطوي عليه من رمزية اجتماعية ووظيفة دينية تجاوزت الفردانية الصوفية نحو بنية مؤسساتية ذات أدوار متنوعة.

المبحث الأول: نشأة التصوف الإسلامي

1-تعريف التصوف:

لغة: الصوفي هو من صفا قلبه لله ومن خلصت معاملته مع الله تعالى، فانعكست عليه كرامة من الله عز وجل، وقيل أيضا سمي الصوفي صوفيا لأنه في الصف الأول بين يدي الله رفيع الهمة، مقبل القلب واقف السريرة بين يد الله، كما قيل إنهم سموا صوفية لقرب صفاتهم من صفات أهل الصفة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا لعبادة الله[1]. كما قيل أيضا الى سبب التسمية يرجع إلى لباسهم الصوف الذي كان شعارا للزهد والتواضع وهو لباس الأنبياء والصديقين والمساكين ولهذا فان من نسبهم إلى الصفة أو إلى الصوف فقد عبر عن ظاهر أحوالهم

[1]-الكلابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، أرنجون أبربري، مكتبة حاني بالقاهرة، ص07.

دون التطرق إلى أعماق تجاربهم الروحية والمعرفية.[1]وهناك من يرى أن كلمة التصوف تعود الى رجل من الجاهلية يدعى الغوث بن بركان كان يلقب بصوفة وكان معروفا بالزهد والعبادة.[2]

اختلف أهل العلم في اشتقاق لفظ التصوف فقيل انه مشتق من الصفا ،لأن مدار التصوف على تصفية القلب من الأكدار وتنقيته من علائق الدنيا حتى يكون خالصا لله عز وجل، وقيل إنه من الصفة ،لأنه اتصاف بالكمالات الخلقية والروحية التي تقرب العبد من ربه وقال آخرون بل هو مأخود من صفة المسجد النبوي تشبيها للمتصوفة بأهل الصفة من الصحابة الذين انقطعوا لعبادة الله وزهدوا في الدنيا، وقيل أيضا ان التصوف مشتق من الصوف ،نسبة الى لباس الصوف الذي اختاره المتصوفة تزهدا وتقشفا وتأسيا بأنبياء الله الذين كان لباسهم من الصوف دلالة على البعد عن الترف والتعلق بزينة الحياة.[3]وقال بشر بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله[4]،ومن اختاره الحق لنفسه فصافا، وتبرأ عن نفسه من حظوظها فالصوفية اذن هم أهل الباطن، وأمناء الله في أرضه، يرون بنور الله ويشهدون حقائقه.[5]وقد قيل أيضا، أن التصوف مأخود من الصوف لأن المتصوف أشبه بالصوفة المطروحة لا تدبير لها ولا إرادة خاضع لأمر الله، مستسلم لقضائه أو لأنه صوفة الفناء لينها، وخضوعها، فالصوفي هين لين كهي، خاضع ساكن، لا يقاوم الأمر الإلهي بل يذوب فيه كما تذوب القطرة في البحر.

كما قيل أيضا أن أهل الصفة كانوا فقراء في بداية أمرهم حتى عرفوا بأضياف الله لافتقارهم الى متاع الدنيا واعتمادهم الكامل على الله، ثم تبدلت أحوالهم فصار منهم الغني والأمير والمتسبب والفقير،

---

[1]-أبي نصر السراج أبي سراج الطوسي، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرود، دار الكتب الحديثة بمصر، مكتبة المثنى ببغداد، 1380،1960، ص41.

[2]-زاكي مبارك، التصوف الإسلامي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1938، ص ص 72،67.

[3]-عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف الى حقائق التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص26.

[4]-الكلابادي، مصدر سابق، ص10.

[5]-المصدر نفسه، ص11.

ومع تغيير حالهم ظلوا على نهجهم من الزهد والرضا فشكروا النعمة حين وجدت، كما صبروا على الفاقة ن فكانوا مثالا في الثبات على طريق الله في جميع الأحوال.[1]

اصطلاحا: التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا بحيث يرى المتصوف حكم الشريعة في ظاهره وباطنه فيبلغ كمال الأدب في كلا الجانبين، فقد عرف العلماء التصوف بتعريفات متعددة كل منها يكشف جانبا من جوانب هذا الطريق الروحي العميق .فمنهم من قال : التصوف هو تصفية القلب من التعلق بغير الله، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات النفس البشرية ومجانبة الدعاوي النفسية، والتعلق بعلوم الحقيقة ،والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى وإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ،وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا والصبر على أوامر الله ونواهيه ،وخدمة الخلق بصدق، وترك التكلف والتواضع في المعاملة والتجرد من الطمع فيما أيدي الناس.[2]وقال بعضهم :التصوف يملئ القلب بمعرفة الله تعالى وهي الغاية من خلق الإنسان وارسال الرسل، وأن يتصف العبد بحسن الخلق والتوحيد والمعرفة، والعمل الصالح فتطهر النفس ويعلو قدر التوحيد.[3].

فالتصوف في أصله هو العكوف على العبادة، الانفراد بالخلوات وترك التعلق بالخلق والزهد في الدنيا وما يقبل عليه أكثر الناس من اللذات والأموال والمناصب وكان هذا حال الصحابة والسلف حتى إذا فشا حب الدنيا في القرون المتأخرة ومال الناس إلى مخالطيها وتميزوا أولئك الذين بقوا على نهج الزهد والعبادة باسم الصوفية.[4]وقد قال أحد أهل المدينة "لقد أتانا منكم رجل يقال له الحكيم بن عبد المطلب فأغنانا" فقيل له: فكيف، وما أتاكم إلا بجبة صوف؟ فقال: ما أغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا. وروي أن الخليفة أمر بقتل بعض الصوفية حين سعى بهم غلام الخليل

---

[1]-ابن العباس الفاسي، قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص24.

[2]-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص54.

[3]-أبو حامد الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديثة، لبنان، بيروت، ص143.

[4]-عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، 2001، ج1، ص611.

فكان الجنيد لحكمته قد تستر وكان يفتي على مذهب أبي ثور محافظًا على ظاهر الشريعة، باطنا على طريق القوم. فالتصوف إذًا هو جمع بين ظاهر الشرع وباطن الإخلاص لا يخرجه عن الشريعة بل يعمق فهمها ويحقق غاياتها، فهو تربية للنفس وتهذيب للروح وسلوك في مراتب العبودية الخالصة لله وحده.[1]

فالتصوف هو علم يُعنى بتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل وهو طريق السالكين إلى حضرة ملك الملوك، ووسيلة لمعرفة الله من خلال مجاهدة النفس والتخلق بالأخلاق المحمدية ومشاهدة الحق مع غيبة القلب عن الخلق، دون أن يخرج ذلك عن الإتباع للسنة، فالمرجع في ذلك كله هو الأثر فقيل فيه: أوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة.[2]

-التصوف هو سلوك روحي يهدف إلى تصفية القلب من الكدر، وإفراغ النفس من علائق الدنيا، والتوجه التام إلى الله وحده بحيث لا يبقى في القلب رغبة لغيره ولا تعلق بسواه قال سهل بن عبد الله: الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر، أي لا فرق عنده بين النفيس والحقير، إذ لا رغبة له إلا في مولاه.

وقد عبر الجنيد عن مقام الصوفي بقوله: الصوفي كالأرض يُطرح عليها كل قبيح فلا يخرج منها إلا المليح. يشير بذلك إلى حلمه وسعة صدره وحسن خلقه وقابليته لتحمل الأذى من الناس دون أن يرد بمثله، بل يقابل الإساءة بالإحسان، فالتصوف ليس كلمات تقال ولا مظاهر تُتَخد، بل هو حال يعاش، وسر بين العبد وربه ظاهرة إتباع للشريعة وباطنه صفاء للسريرة، تثمر عنه أخلاق النبوة، وتربية النفس على الصدق والإخلاص، والزهد والرضا والمحبة والخشية.[3]

وقال أيضا: الصوفي كالأرض يطأها البر والفاجر وكالسماء يُظل كل شيء، وكالمطر يسقي كل شيء، يشير بذلك إلى سعة صدر الصوفي وتواضعه وعطائه العام فهو لا يميز في خيره بين أحمد بل يعامل الخلق جميعا بالرحمة والرفق كما تفعل الأرض والسماء والمطر.[4]

---

[1]-القشيري، الرسالة القشيرية، تعليق الشيخ القاضي زكرياء بن محمد الأنصاري، دار جوامع الكم، القاهرة، ص280.

[2]-أحمد بن عجيبة، مصدر سابق، ص25و26.

[3]-عبد الله أحمد بن عجيبة، مصدر نفسه، ص26.

[4]-عبد الله أحمد بن عجيبة، مصدر سابق، ص27.

2-نشأة التصوف الإسلامي:

لم يكن لفظ "التصوف "معروفا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الصحابة رضي الله عنهم إذ كان الناس في تلك العصور بحسب ما قرره الشرع من الإيمان والإسلام فيقال عن أحدهم مؤمن أو مسلم وهي الأوصاف التي وردت في القرآن والسنة ولم يكن ثمت حاجة إلى أوصاف أخرى وقد أشار الإمام ابن الجوزي إلى اسم الصوفية لم يكن معروفا في تلك الفترة، وإنما هو اسم مستحدث بعد ذلك، لما نشأت طبقات من العباد والزهاد الذين تفرغوا للعبادة والزهد في الدنيا .ومع مرور الوقت ظهر قوم اختاروا الانقطاع عن الناس والتجرد عن ملذات الدنيا واشتغلوا بالعبادة وتزكية النفس، فتميزوا بطريقتهم وأخلاقهم حتى نشأ عنهم ما صار يُعرف بالتصوف وقد ظهر هذا الاسم قبل سنة 200هجري وصار يطلق على من سلك هذا الطريق صوفيا.[1]

ولما تكلم أوائل المتصوفة في هذه الطريقة، عبروا عنها بعبارات كثيرة تختلف باختلاف مشاربهم ومدى التزامهم بالمنهج الشرعي وقد رد أبو نصر السراج الطوسي في كتابه اللمع على من أنكر وجود اسم الصوفية في القرون الأولى.[2]فقال: إن من قال لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فيمن بعدهم، ولم نعرف الا العباد والزهاد والسياحين والفقراء، وما قيل لأحد منهم أنه صوفي فجاوبنا وبالله التوفيق إن الصحبة مع رسول الله لها حرمة ومكانة لا تعلوها تسمية، فمن شملته هذه الصحبة فلا يجوز أن يطلق عليه اسم آخر على أنه أشرف من وصف الصحبة لأن ذلك فيه تعظيم لغير موضع، ولا يفضل وصف على وصف الصحبة.

أما دعوى اسم "الصوفية "استحدثه البغداديون، فهو مردود لأن هذا الاسم كان معروفا في زمن حسن البصري وقد أدرك الحسن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على أن أصل هذا المنهج في الزهد والتعبد كان موجودا وإن لم يطلق عليه هذا الاسم بعد، وهكذا فإن التصوف نشأ في سياق الزهد والعبادة، وتطور لاحقا ليصبح طريقة لها معالمها الخاصة.[3]ففي القرن الأول لم يعرف اسم

[1]- عبد الرحمان ابن الجوزي، تلبيس ابليس، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ص156و157.

[2]-أبي سراج الطوسي، اللمع، مصدر سابق، ص42و43.

[3]-أبي سراج الطوسي، المصدر السابق، ص42و43.

التصوف بل كان أهله يُعرف باسم العباد والعبادة، والزهاد وكان اعتقادهم صافيا وإيمانهم نقيا خالصا.[1]وفي العصر التابعي، ظهرت مجموعة من الزهاد الذين تميزوا بالورع والتقوى والانقطاع إلى العبادة، ومن أبرزهم الحسن البصري المتوفي سنة 110 هجري، الذي يُعد مثالا واضحا على الزهد وقد ظهرت من بين هؤلاء طائفة عرفت ب "البكائين" بسبب شدة بكائهم خشية من الله، وتحسرا على ذنوبهم مهما كانت يسيرة، طمعا في عفو الله ورجاء لمغفرته، وكانت المبالغة في التعبد والتقشف سمة بارزة في هذه الحركة الزهدية العظيمة، التي كانت تسعى للتقرب من الله تعالى بكل الوسائل المشروعة.[2]

ومع مرور الزمن بدأ أولئك الزهاد يتخذون لأنفسهم طرقا خاصة في التعبد والتخلف وتميزوا بأساليبهم في السلوك والتهذيب الروحي، حتى أصبح لهم نمط خاص، ويظهر لهم اسم يميزهم من غيرهم، وهو الصوفية وكان أول ظهور منظم للتصوف في البصرة، وكما أشار الى ذلك الشيخ ابن تيمية بقوله " فأنه أول ما ظهرت الصوفية في البصرة"[3].

بعد الفتوحات الإسلامية اختلط المسلمون بشعوب وحضارات وثقافات مختلفة وانغمس المسلمون في حياة الترف الملذات لرد فعل على هذه الحياة اتجاه المسلمون المتشددون، خاصة عند أهل البصرة والكوفة إلى المغالاة في سلوكهم التعبدي، والانعزال عن الدنيا والابتعاد عن النهج الإسلامي الصحيح، أيضا ما حصل في المجتمع الإسلامي من الفتوحات والحروب وإراقة الدماء أسهم في ظهور المتصوفة، الذين فضلوا العزلة عن إراقة دماء المسلمين.[4]

[1]-محمد جربي، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، ط1، عالمالكتب،1407،1987ص182.

[2]-محمد بن الطيب، اسلام المتصوفة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2008، ص34و35.

[3]-محمد جربي، مرجع سابق، ص182.

[4]-عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي مفهومه ونشأته، مجلة كلية التربية، كلية الشريعة والقانون، العجيلات جامعة الزاوية، 2019، ص193.

المبحث الثاني: ظهور التصوف ببلاد المغرب الإسلامي

اهتم جملة من الباحثين والدارسين عوامل ظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي بحيث أرجأ الهادي روجي إدريس الظاهر إلى النهضة المالكية في القيروان منذ القرن الثالث هجري /التاسع ميلادي في مواجهة الشيعة.[1]واختزل "روبالبرنشفيك" أسبابها في تأثير المشرق على المغرب، وحصرها "ليفي بروفنسال" في تأثير المعتقدات الوثنية على البربر وحركة الجهاد ضد الاسترداد المسيحي[2]، لقد ربطت أغلب الدراسات التي أرخت للموضوع ظهور التصوف ببلاد المغرب الإسلامي بعوامل منها:

أ- التواصل بالمشرق:

لقد عرفت العلاقة بين المشرق والمغرب الإسلاميين تفاعلا في ميادين مختلفة أهمها الميدان الصوفي حيث انفتح المغرب الإسلامي على التطور الإسلامي الذي أدى إلى ظهور المدرسة الصوفية، حيث ساهمت الرحلات من المغرب إلى المشرق لدواعي مختلفة ومتنوعة كطلب العلم وأداء مناسك الحج أو للعمل التجاري في التواصل الصوفي بالمشرق والاتصال بأعلام التصوف عن طريق التتلمذ عليهم أو الاطلاع على مذاهبهم واتجاهاتهم في هذا المجال أو الاستفادة من الكتب والمؤلفات الصوفية كالرسالة القشيرية للقشيري وقوت القلوب للمكي وإحياء علوم الدين للغزالي.[3]ويرجع الباحثون انتشار التصوف في بلاد المغرب إلى القرن الخامس والسادس للهجرة /الحادي عشر والثاني عشر للميلاد عندما بدأ كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي يثير جدلا كبيرا في المجتمع المغاربي خلال فترة حكم

[1]-الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر،2004، ص46.

[2]- الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص46.

[3]-شرويك محمد الأمين، انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة أفاق فكرية، تخصص تاريخ، جامعة جيلالي ليابس، العدد السادس، 2017، ص93.

المرابطين نظرا لما يحمله من أبعاد صوفية وتأويلات لآيات القرآن والأحاديث النبوية فطلب يوسف بن تاشفين من قاضي قرطبة بإحراق كتاب الإحياء وأفتى الفقهاء بذلك وتوعد من وُجد عنده.[1]

كما ذكر ابن الزيات في كتابه التشوف بقوله "وحدثني على بن عيسى عن شيوخه أنما لما أفتى الفقهاء بإحراق كتاب الإحياء للغزالي فأحرق بصحن جامع السلطان"[2]، وقد أفضت هذه السياسة إلى نتائج عكسية تمثلت في تعزيز مكانة رجال التصوف وزيادة الإقبال عليهم في ظل الدولة الموحدية، كما زاد الاهتمام بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، لما تضمنه لدعوة إلى الزهد والانصراف عن الدنيا وحب ،الله والاعتناء بالجانب الروحي من خلال التقشف والصلاة ،والتأمل المستمر ،وقد سعي العديد من الاتقياء والعلماء إلى اتباع هذا المنهج ،الأمر الذي يكشف عن وجود ترابط صوفي واضح بين المشرق والمغرب ،تمثل في سلسلة روحية تبدأ بالشيخ المباشر وتنتهي بالشيخ المرشد وتتدرج صعودا إلى كبار المتصوفة من أمثال الجنيد التابعين وإلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[3].

ب–مساهمة الدولة الموحدية:

شهد المغرب الأقصى خلال فترة حكم المرابطين والموحدين تحولات دينية عميقة إذ يشير التادلي الصومعي إلى أن هاتين الدولتين لعبتا دورًا مهمًا في القضاء على البدع والنحل التي كانت منتشرة أنداك، مثل برغواطة والخوارج والشي[4]عة. وقد أسهم ذلك في ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة وتعميق معرفة السكان بالدين. ومع ذلك فإن المذاهب الرسمية التي تبنتها كل من الدولتين سواء المذهب المالكي كما هو عند طبقه فقهاء الدولة المرابطية أو المذهب التومرتي لدى الموحدين تميزت

[1]–شرويك محمد الأمين، المرجع السابق، ص93.

[2]–ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط،1997، ص 145.

[3]–شرويك، المرجع السابق، ص94.

[4] التادلي الصومعي، كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبو يعزى، تحقيق على الجاوي، منشورات كلية الآداب، أكادير، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم06، 1996، ص32.

بالتعقيد والصعوبة مما جعلها بعيدة المنال عن عامة الناس. وأمام هذا الواقع وجد عموم المسلمين في التصوف ملاذًا روحيًا يلبي حاجاتهم في ممارسة دينية بسيطة، تنسجم مع واقعهم المعيش وتتحرر من التجريد العقلي الزائد. وقد ساهم التصوف القادم من المشرق خاصة أفكار الإمام أبي حامد الغزالي في تلبية هذا التوجه الروحي حيث اعتنق المغاربة الأفكار وساهموا في تعميق انتشارها.[1]

كما لعبت الدولة الموحدية دورًا محوريًا في نشأة الحركة الصوفية وانتشارها في بلاد المغرب إذ أن المهدي بن تومرت توفي(527هجري)، تتلمذ على يد الإمام أبي حامد الغزالي وتأثر بأفكاره ونقلها إلى المغرب وأسهم حكام الدولة الموحدية في إزالة العداوة التي كانت قائمة اتجاه كتاب إحياء علوم الدين بعد زوال الدولة المرابطية وهو ما أتاح لها الكتاب رواجًا وانتشارا واسعين في المغرب.[2]

كما عملت الدولة على رفع القيود التي فرضها فقهاء المرابطين،[3] على بعض المظاهر الصوفية مما مهد الطريق لانتشار التصوف وأدى إلى إدراج الكتب الصوفية مثل الإحياء والرسالة القشيرية ضمن مناهج التعليم ومجالس الفقه والفكر.[4]

ج –عوامل سياسية:

أدى تفاقم الأزمات في المغرب وفقا لما ذهب إليه عدد من الباحثين الأوربيين الذين تناولوا الموضوع من زواياهم الخاصة إلى بروز ظواهر جديدة من أبرزها التصوف فقد اعتبر **لوبنياك** أن التصوف جاء كرد فعل على فشل ثورة الخوارج بينما عزا **ألفريد بل A.bel**، هذه الظاهرةإلى العقلية المغربية المشبعة بفكرة الصراع بين الخير والشر ومع ذلك أثار في موضع آخر إلى أن التصوف كان

[1]–التادلي الصومعي، مصدر سابق، ص32.

[2]–شرويك محمد الأمين، مرجع سابق، ص94.

[3]–عبد الواحد ذو نون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، 2004، ص286.

[4]–عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ج1، ص384.

نتيجة تدمر الرعية من السلوك بعض الفقهاء الذين غرقوا في حياة الترف والرخاء وتجاهلوا تطبيق تعاليم الدين الإسلامي.[1]

ومن ناحية أخرى كان للعامل السياسي دور بارز في نشأة التصوف إذ قامت دولة المغازي على مبدأ احتكار السلطة وحصرها في أيدي العناصر اللمتونية والفقهاء المالكيين مع تهميش باقي القوى الاجتماعية وقد أدى هذا الوضع إلى حدوث فجوة عميقة بين المجتمع والسلطة، الأمر الذي مهد الطريق لظهور قوى المتصوفة بهدف استعادة التوازن الاجتماعي والسياسي والتصدي لسياسة الإقصاء والتهميش[2].

د- التأثير الأندلسي:

شكلت الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب، ولا سيما هجرة رجال التصوف عاملاً رئيسًا في انتشار الفكر الصوفي بالمنطقة وقد تمثلت هذه الهجرة في صنفين من المتصوفة، العائدين من المشرق بعد رحلات علمية وروحية، والوافدين من الأندلس مباشرة، حاملين معهم أفكارًا ومصنفات صوفية أثرت المشهد الروحي في المغرب.

يُعد أبو مدين شعيب (توفي سنة 594هجري/1198ميلادي)[3] من أبرز هؤلاء الوافدين إذ نزل بمدينة بجاية سنة 559هجري، واستقر بها بعد عودته من رحلته إلى المشرق، وقد جلب معه كتب صوفية مهمة مثل إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، والرسالة القشيرية لابي القاسم القشيري، فدرسها ونشر مضامينها في أوساط طلبة العلم.

وكان لأبي مدين اتصال مباشر بالشيخ عبد القادر الجيلاني حيث أخد عنه الطريقة القادرية وساهم في نشرها على نطاق واسع في بلاد المغرب، وقد لقيت هذه الأفكار الصوفية رواجًا كبيرًا،

---

[1]-إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص125.

[2]-إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص127.

[3]-عبد الله الغبريني(ت704هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1328هجري/1910ميلادي، ص11و12.

فكان للأندلسيين إسهام وافر في ازدهار التصوف، سواء من خلال نشر تعاليمه أو من خلال الأعمال التي ألفوها وأساليب التربية الروحية التي تبنوها[1]إلى جانب أبي مدين برزت شخصيات صوفية أندلسية أخرى نذكر منها على سبيل المثال الشيخ ابن العريف، الذي أسهم بدوره في ترسيخ الممارسة الصوفية في المنطقة[2].

و– العامل الاقتصادي والاجتماعي وأثره في بروز التصوف:

أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فقد شهد المغرب الإسلامي فترات من الثراء خاصة في عهد المرابطين، إلا أن هذا الازدهار لم يكن مرتبطًا بقوة القاعدة البشرية أو النشاط الاقتصادي المستدام، بل ارتبط في جوهره بقوة الدولة المركزية، مما جعله ظرفيا هشا ومعرضا لهزات عنيفة، وفي أواخر حكم المرابطين، عرف بيت المال عجزا كبيرا نتيجة توقف عمليات الجهاد، وتزايد نفقات الأمراء إلى جانب انغماسهم في مظاهر البذخ والترف، وقد دفع هذا الوضع الدولة إلى اعتماد سياسة جبائية قاسة أثقلت كاهل جميع فئات المجتمع.

وتزامن ذلك مع تفاقم مظاهر التفاوت الطبقي، حيث عانت عامة الناس من الفقر والبؤس، في ظل غياب العدالة الاجتماعية، كما اجتاحت الأوبئة والمجاعات مختلف المناطق، وحصدت أرواح الكثير، وقد كانت فئة المتصوفة من بين أبرز الفئات التي عبرت عن هذا الرفض حيث مثل التصوف رد فعل روحي واجتماعي على ما شهده المجتمع من مظالم ومحن فسعوا إلى الدعوة للزهد والإصلاح.[3]

هـ– تأثير الرباطات:

شهدت مدينة الرباط، بفعل التحولات التي عرفتها تطورًا ملحوظًا جعل منها مركزًا مميزًا للأنشطة الصوفية، حيث تحولت إلى ما يُعرف بالرباط ذي الوظيفة الدينية والتربوية.وقد ازدهر النشاط الصوفي بها، فكرس الشيوخ جهودهم لتكوين المريدين وتربيتهم على قيم المجاهدة والزهد والتجرد من زخارف

[1]–شرويك محمد الأمين، المرجع السابق، ص95.

[2]–أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير، فونثانه الشرقية، الجزائر، 1906، ص296.

[3]–إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص127.

الدنيا وملذاتها، مع الحرص على المواظبة على الأوراد والأذكار[1]،ولم يقتصر هذا الإشعاع الصوفي على الرباط وحدها بل امتد ليشمل مناطق أخرى من المغرب الأوسط، خاصة في بجاية وإفريقية بحيث انتشرت مراكز صوفية كان لها دور محوري في نشر الفكر الصوفي وترسيخ قواعده بالمنطقة، ويذهب الباحث الطاهر بونابي إلى أن الحركة الصوفية التي عرفها المغرب خلال القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، ما ماهي إلا ثمرة لتأثير الرباط والرابطة في تشكيل بنيات التصوف المغاربي.[2]

[1]-محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص96.

[2]-الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص14.

المبحث الثالث: بواكير الفكر الصوفي المغاربي:

1-عبد القادر الجيلاني:

هو الشيخ عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح عبد الله بن جنكي الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد وزاهدها وقدوة العارفين وصاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف[1].ولد في مدينة جيلان[2]، سنة 470 هجري وقيل أيضا 471 هجري[3]، نشأ في أسرة صالحة مشهورة بالتقوى والزهد، فوالده أبو صالح موسى كان زاهدًا معروفًا بالورع والعمل الصالح واشتهر بالدقة والتمسك بالتقوى.[4] قدم عبد القادر الجيلاني إلى علوم اللغة والشريعة وكان يدرس في مدرسته التفسير والحديث والمذهب، وأصول الفقه وعلوم اللغة وقد أفتى على المذهبين، الشافعي والحنبلي كما أتقن قراءة القرآن بروايات مختلفة[5]، وله عدة مؤلفات نالت شهرة بغداد شابا سنة 488 هجري، حيث بدأ طلب العلم فسمع الحديث وتفقه على يد العلامة الحنبلي الشيخ أبي سعيد مبارك المخرمي البغدادي، وقد تأثر كثيرًا بشيخه المبارك حتى أوكل إليه المدرسة، فبدأ يتحدث بلسان الوعظ والإرشاد وبعد وفاة شيخه وسّع الشيخ المدرسة وجعلها مقرًا لإقامته وأصبحت تعرف فيما بعد "بمدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني[6]".تحدث عبد القادر الجيلاني في علم النحو 13 سنة، واشتغل بنشر واسعة منها "الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل"[7]، وكتاب فتوح الغيب والفتح الرباني، وكتاب جلاء الخاطر في الباطن والظاهر والرسالة الغنية

---

[1]-عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، مكة المكرمة، 2005، ج2، ص187و188.

[2]-صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ص368.

[3]-ابن رجب، مصدر سابق، ص189.

[4]-عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد والقدوة، ط1، دار القلم، دمشق، 1414، 1994، ص93.

[5]-بن رية مليكة، الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ومنهجه في إصلاح التصوف، مجلة الدراسات والأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد01، جانفي 2001، جامعة الجزائر، المجلد13، ص165.

[6]-عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، تحقيق عبد العليم محمد الدرويش، دار الهادي، مكتبة دار الزاهد، ص09.

[7]-سعيد بن مفسر بن مفرح القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني وآرائه الاعتقادية والصوفية، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1418 هجري، 1997 ميلادي، ص54و55.

وحزب الرجاء وكتاب تحفة المتقين وسبيل العارفين[1]، توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله سنة 561هجري، عن عمر ناهز التسعين عامًا، وقد شيع في مدرسته ببغداد دفن هناك[2] .

-عبد القادر الجيلاني والتصوف:

وضع عبد القادر الجيلاني منهجًا متكاملًا للتصوف يجمع بين العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة، وبين التطبيق العلمي الملتزم بأحكام الشرع، وكان هدفه من ذلك إيجاد طريقة قوية بين الفقهاء والعلماء من جهة ورجال التصوف من جهة أخرى[3]، وقد عرف الجيلاني التصوف بأنه: "الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق[4]".فالتصوف عنده ليس مجرد أقوال تقال، بل هو سلوك علمي مبني على الجهد والمجاهدة والزهد في متاع الدنيا وزخرفها وهو يرى ان البداية الحقيقية للصوفي تكون بطلب العلم، ومراعاة الرفق في التعامل حتى يألفه الناس ويأنسوا به[5]،أما الصوفي الحقيقي عند عبد القادر الجيلاني فهو من تحققت فيه معاني التصوف، واقعا وسلوكا حتى صار جديرا بأن يوصف بالصوفي وهو في رأيه من صفا قلبه وتطهر من آفات النفس البشرية والتجرد من علائق الدنيا[6].

-الطريقة القادرية: تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي يعد المؤسس الأول لها[7]، وهي من أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق في العالم الإسلامي[8]،ومن اللافت أن التصوف قبل ظهور هذه الطريقة كان يمارس بشكل فردي، ولم يتخذ طابعًا منظمًا إلا في عهد الشيخ عبد القادر الجيلاني[9]. تقوم الطريقة القادرية من حيث الجانب النظري على التمسك بالكتاب والسنة

---

[1]-عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر سابق، ص13.

[2]-المصدر نفسه، ص14.

[3]-القحطاني، مرجع سابق، ص507.

[4]-عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، وضع حواشيه أبو عبد الرحمن بن صلاح بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص27.

[5]-الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر سابق، ص102.

[6]-علي محمد الصلابي، العالم الكبير والمربي الشهير عبد القادر الجيلاني، ط1، مؤسسة إقرأ،1428هـ/2007م، ص45

[7]-علي محمد الصلابي، مرجع نفسه، ص73.

[8]-صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، لبنان، 2002، ص143.

[9]-علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص73.

وتنبّد الإبداع في الدين كما تدعو إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم، وقد عرفت الطريقة انتشارًا واسعًا في أنحاء العالم[1]الإسلامي، بفضل أبناء الشيخ عبد القادر الجيلاني وتلاميذه الذين حملوا تعاليمه إلى مختلف الأقطار وكان أول اتصال للطريقة القادرية بالمغرب الأوسط وتونس على يد أبي مدين شعيب توفي (594هجري)، وذلك بعد أن التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في مكة حيث تلقى عنه الخرقة الصوفية واستقى من علومه أسراره الروحية[2]، وعند عودته إلى بلاد المغرب استقر بمدينة بجاية، حيث نشر العلم وتعاليم الطريقة القادرية ومنها بدأت الطريقة في الانتشار الواسع في سائر بلاد المغرب بفضل عدد من الشيوخ ومن أبرزهم عبد السلام بن مشيش[3].

أنشأ الشيخ عبد القادر الجيلاني أول رباطه في بغداد بجانب المدرسة التي كانت تدرس علوم الشريعة، كان ذلك خطوة إستراتيجية تهدف إلى دمج الزهد بالعلم وتوطيد العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة مما ساعد على تخفيف التوترات بينهما بفضل حكمته وأصبح نهجه مسلكا للعديد من الشيوخ[4]،قامت الطريقة القادرية على أسس تربوية أبرزها الالتزام بالكتاب والسنة[5]، اهتم الشيخ بالأرياف أكثر من المدن التي كانت مقر أهل العلم ومراكز المدارس، حيث سعى الشيخ إلى اعداد طلبته جيدا ثم يرسلهم إلى قراهم حتى ينتفع منهم أهلهم، كان هذا النهج يهدف إلى نشر العلم والتربية التي تفتقر إلى مثل هذه المؤسسات[6].

-أبي مدين شعيب الغوث:

هو الشيخ الفقيه المحقق القطب، شيخ مشايخ الإسلام في عصره وإمام العباد والزهاد، وخاصة الخلص من فضلاء العباد، سيدي أبو مدين شعيب الحسن الأندلسي، المعروف بأبي مدين الغوث،

---

[1]-سعيد بن مسفر القحطاني، مرجع سابق، ص638.

[2]-الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص543.

[3]-التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط4، 2003، ص92.

[4]-عمر سليم عبد القادر التل، متصوفة بغداد في القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي، دار المامون، الأردن، 2009/1430، ص75.

[5]-عبد الرزاق الكيلاني، مرجع سابق، ص249.

[6]- بن رية مليكة، مرجع سابق، ص769.

وُلد سنة 509هـ/1115م، بجزر إشبيلية[1]في الأندلس، أصله من قرية تسمى "قطنيانه"، وهي تابعة لحصن "منتوجب" بالقرب من إشبيلية[2]، نشأ في أسرة فقيرة تشتغل بالزراعة ورعي الماشية، وعندما توفي والده وهو لا يزال صغيرًا تولى إخوته كفالته، فكان يرعى لهم المواشي ومنذ صغره ظهرت عليه علامات التقى والورع، فكان كلما رأى مصليًا أو قارئًا للقرآن في المرعى اقترب منه بشوق، وشعر في نفسه بحزن عميق لكونه لا يفعل مثل ما يفعلون[3]، وقد فتح الله عليه منذ حداثته بمواهب قلبية وأسرار ربانية، كانت نواة لما بلغه لاحقا من الولاية والرفعة في مقامات السلوك والتصوف[4]. ويروي يعقوب التادلي عن محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري قال سمعت أبا مدين يحدث في بداية أمره فقال: "كنت بالأندلس يتيما فجعلني إخوتي راعيا لمواشيهم فإذا رأيت من يصلي أو يقرأ القرآن أعجبني، ودنوت منه وأوجد في نفسي غما لأنني لا أحفظ شيئا من القرآن ولا أعرف كيف أصلي فقويت عزيمتي على الفرار، فأسريت ليلة وأخذت في طريق آخر فلما طلع الفجر أدركني أخي وسل سيفه ليضربني فتلقيته بعصا كانت في يدي، فانكسر سيفه وتطاير قطعا فلما رأى ذلك قال لي: ياأخي اذهب حيث شئت". كانت تلك الحادثة نقطة التحول في حياته ومنها انطلق في رحلة طلب العلم والسلوك ليصير أحد أعلام التصوف الإسلامي وأئمة التربية الروحية في الغرب الإسلامي.[5]

***مؤلفاته:**

ترك الشيخ القطب الإمام الرباني سيدي أبي مدين شعيب الغوث آثارا منشورة ومواعظ خالدة لا تزال إلى اليوم تستلهم منها الحكم وتقتطف منها زهرات المعاني، دون حاجة إلى اختيار إذ أن كلماته

---

[1]-أحمد أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979، ص56.

[2]-عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص23.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح محمد الفاسي وآخرون، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص11.

[4]-الغبريني، المصدر السابق، ص22.

[5]-أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 1997، ص320.

كلها مختارة راقية ممتازة عطرة فواحة، تتم عن صفاء روحه وسمو مقامه في العلم والتصوف[1] ورغم أن مؤلفاته ليست كثيرة فإنها عميقة في معناها صوفية في روحها وقد بقي أكثرها مخطوطا إلى يومنا هذا، ومن أبرز ما تُنسب إليه من أعمال:

-أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد.

-مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب.

-عقيدة أبي مدين.

إلى جانب مؤلفاته، كانت أقواله ومجالسه مشاعل هداية يتناقلها المريدون ويتداولها السالكون لما فيها من إشارات باطنية وتوجيهات سلوكية دقيقة تمزج بين الفقه والظاهر وحقيقة التصوف[2].

وعندما إستقر الشيخ في بجاية، علا صيته وذاع ذكره بين الخواص والعوام، حتى غدا مرجعًا روحيًا يقصده طلاب العلم والسالكين، مما أثار حفيظة بعض علماء الظاهر وفي مقدمتهم الشيخ أبو عمر الحباك الذين لم يترددوا في الوشاية به لدى السلطان المنصور ومن بين تلك الوشايات اتهمه بالتشبه بالإمام المهدي المنتظر وكثرة أتباعه الذين أصبحوا في نظر السلطة مصدر قلق سياسي. فأرسل المنصور إلى أمير بجاية يطلب قدوم الشيخ مكرما غير مقيدا إلا أن أقدار الله شاءت أن يُصاب أبو مدين بالمرض في طريقه إلى السلطان وتحديدا في حوز تلمسان، حيث قال لأصحابه: "ما أصلحه للرقاد، فأسلم روحه هناك ودُفن في تلمسان سنة 594هـ" وقد قيل إن آخر ما نُقل عنه قبل وفاته قوله: "الله حي[3]".

أما عن شيوخه الذين تلقى عنهم علم الشريعة والتصوف فندكر منهم:

---

[1]-أبو مدين بن عدة، أبو مدين شعيب بن الحسن الغوثي، سياحة روحانية وعلمية، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، العدد07، ص160.

[2]-نورة رجاني، الملتقى الدولي، البعد الوظيفي للتصوف عند سيدي أبي مدين شعيب الغوث، مركز الدراسات الأندلسية، تلمسان، ص08.

[3]-نورة رجاتي، المرجع نفسه، ص08.

-الشيخ أبو الحسن علي بن حرزهم (ت559هـ): من كبار مشايخ فاس كان فقيهًا زاهدًا متصوفًا[1].

-الشيخ أبو يعزى يلنور، من أشهر زهاد المغرب الأقصى، وأحد كبار رجالات التصوف[2].

-الشيخ أبو الحسن علي بن غالب: فقيه من فقهاء فاس، قرأ عليه أبو مدين "السنن للإمام الترمذي ولازمه وتفقه على يده[3].

-منهجه في التصوف:

في خضم الظروف والملابسات الحساسة التي مرت بها بلاد المغرب الإسلامي بزغ نجم التصوف المديني المجدد ممثلا في شخصية ابي مدين شعيب، الذي اتخذ من التصوف منهجا اصلاحيا يجمع بين الزهد والتقوى وبين العلم والعمل، متأثرا إلى حد بعيد بدعوة الإمام ابن حامد الغزالي، رائد الاتجاه السني المعتدل في التصوف فقد تبنى أبو مدين المبادئ الكبرى لهذا التصوف القائم على الزهد في زخارف الدنيا والاستهانة بمناهجها مع الاهتمام العميق بأسرار العبادات والسعي لترسيخ مفهوم الاحسان وتحقيق مقام الولاية مما أكسب تصوفه طابعا روحيا عميقا وقبولا واسعا لدى العامة والخاصة[4]،وقد حرص أبو مدين على ان يكون تصوفه تصوفا سنيا ملتزما ينهل من منابع الشريعة دون ان يهمل البعد الباطني والسلوكي الذي ميز التصوف الحق فكان منهجه قائما على الجمع بين الشريعة التي تضبط الظاهر، والحقيقة التي تزكي الباطن، وهو ما جعله يحظى بتقدير النخبة السياسية والدينية في ظل سياسة الدولة الموحدية التي كانت تتبنى الاتجاه الغزالي الوسطي ولعل تأثره العميق بشيخ عبد القادر الجيلاني وإمام الفكر الصوفي ابي حامد الغزالي خاصة من خلال كتاب إحياء علوم الدين جعله يسلك مسلك الاعتدال وينقل هدا اللون من التصوف إلى بيئة مغاربية كانت تنظر إليه بعين الشك والاتهام . ان تصوف ابي مدين لم يكن مجرد سلوك فردي أو انعزال عن المجتمع بل كان

[1]-التادلي، التشوف، مصدر سابق، ص168.

[2]-التادلي، المصدر نفسه، ص215.

[3]-ابن قنفد القسنطيني، المصدر السابق، ص26.

[4]-عبد الوهاب فرحات، أبو مدين شعيب ومكانته في التصوف المغربي، جامعة الأمير عبد القادر، ص86.

مشروعا إصلاحيا وتجديديا متكاملا جعل من الزهد والمعرفة وسيلة لتقوية الإيمان وتزكية النفس، فأسهم في تحويل نظرة المجتمع المغاربي إلى التصوف من اتهامه بالكفر والزندقة إلى اعتباره طريقا للتقوى والارتقاء الروحي[1]،لقد تمكن الشيخ أبو مدين بمنهجه التجديدي الرصين من تطهير حركة التصوف في المغرب الإسلامي من الدخلاء والدعاوي الباطلة فحدد معالمها وضبط مسارها وفق منهج سني أصيل ولم يكن هدفه ان يبقى التصوف حكرا على النخب والخواص بل نجح في انزاله إلى مستوى الجماهير الشعبية، فبعث في جسد الأمة روحا جديدة من الإيمان والحيوية عبر توجيه همم الناس نحو تهذيب النفس وربطهم بالله تعالى وتذكيرهم بالآخرة وترسيخ مقام الاحسان في قلوبهم تحقيقا للعبودية الخالصة لله وهي الغاية التي بعث من أجلها الأنبياء كما قال الله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[2]».وقداتسم تصوف أبي مدين بطابع أخلاقي عميق، حتى أصبح يعرف بالتصوف الخلقي وهو ما أشار إليه لسان بن الخطيب في روضة التعريف بالحب الشريف بقوله، ثم اشتهر خواص من أهل السنة المراعين نفوسهم مع الله الحافظين قلوبهم من طوارف الغفلة باسم التصوف الخلقي، وذكر طائفة من الأسماء منهم: أبو مدين شعيب[3].وكان أبو مدين يربط التصوف بحسن الخلق ومعاملة الناس على اختلاف مراتبهم بما يؤنسهم ولا ينفرهم فقال: "حسن الخلق معاملتك ومع كل أحد بما يؤنسه ولا يوحشه، ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار". بهذا المنهج الأخلاقي التربوي الجماهيري تحول التصوف في فكر أبي مدين إلى قوة إصلاحية وروحية ساهمت في إحياء ضمير الأمة المغاربية، وجعلت من التصوف طريقا للنهضة الدينية والسلوكية منسجما مع روح الإسلام ومع سياسات الدولة الموحدية في تلك الحقبة[4]. تميز التصوف المديني كما جسده الشيخ أبو

[1]-عبد الوهاب فرحات، المرجع السابق، ص86.

[2]-الجمعة، الآية02.

[3]-لسان الدين بن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق وتعليق وتقديم عبد القادر غطا، دار الفكر العربي، ص614.

[4]-أحمد بن إبراهيم بن علان، شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ سيدي أبي مدين التلمساني المغربي، تحقيق وتعليق الشيخ أحمد فريد المريدي، دار الأفاق العربية، القاهرة، ص291.

مدين شعيب بكونه تصوفا أخلاقيا رفيعا قائما على قيم الفتوة والمروءة والكرم وعلى رقة المشاعر والتلطف في المعاملات فجعل من الأخلاق النبيلة مدخلا أساسيا لتربية النفس وتزكيتها وقد عبر الشيخ عن جوهر هذه الأخلاق حين قال في تعريفه للفتوة: الفتوة رؤية محاسن العبيد والغيبة عن مساوئهم. فهو بذلك يدعو إلى التماس العذر للناس والنظر إليهم بعين الرحمة لا بعين الإدانة وهي نظرة تنم عن عمق روحي ورحابة قلب[1].وقد كانت مواقفه التربوية شاهدا على عمق فهمه لمقاصد الشريعة في الدعوة والتهذيب، إذ يُروى أنه سمع ذات مرة واعظًا يُخوف بأسلوب الترهيب فقط، فقال له: "لا تقنط الناس وذكرهم بأنعم الله". بهذا التوجيه الحصين، يظهر أبو مدين تصوفا قائما على الرحمة والتبشير، لا التخويف والتنفير متماهيا مع منهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته ومع روح الشريعة الإسلامية في مقاصدها الكبرى[2].من خلال هذه النظرات العميقة في فهم الدين ومنهجه القائم على الأخلاق والاعتدال والرحمة، تتجلى بوضوح أهمية أبي مدين شعيب في مسار التصوف المغاربي لا بوصفه شيخ طريقة فحسب، بل كمجدد وروح محورية ساهمت في ترسيخ تصوف سني أخلاقي قادر علىإصلاح النفوس وربطها بالله في اتساق تام مع تعاليم الإسلام وروح العصر الموحدي[3].

-محمد بن عمر الهواري:

الشيخ الولي العارف بالله، القطب الرباني، أبو عبد الله[4]،ولد في عام 751هـ/1350م، في كليمتو الواقعة في أحواز مدينة مستغانم ينتمي إلى قبيلة هوارة وتربي في بيئة علمية صوفية حيث حفظ القرآن في سن العاشرة على يد الشيخ علي بن عيسى لازمه حتى نال سره وأخد منه طريقته الصوفية[5]. بدأ

[1]-عبد الوهاب فرحات، مرجع سابق، ص95.

[2]-عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، ط2، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص102.

[3]-عبد الوهاب فرحات، مرجع سابق، ص95.

[4]-ابن مريم الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبعه واعتنى به الشيخ محمد بن ابي شنب، مطبعة الثعالبة، الجزائر، 1908، ص228.

[5]-ابن صعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، ص11.

الشيخ الهواري رحلته العلمية حيث طاف في البلاد شرقا وغربا[1]اتجه الشيخ إلى مدينة بجاية تلقى العلم على يد الشيخين أحمد بن ادريس والشيخ عبد الرحمن الوغليسي ومن بجاية عاد الشيخ الهواري إلى مسقط رأسه ثم قصد مدينة فاس لدراسة[2] وعندما حصل الشيخ على ما يحبه من نهل وتحصيل العلوم ارتحل الشيخ المشرق لأداء فريضة الحج فسافر متجها نحو مصر أين التقى بكبار العلماء فأخد عنهم، سكن الشيخ بالحرم الشريف كما جل بلاد الشام[3] وبعدها عاود الرجوع إلى مدينة وهران للاستقرار بها ونشر وبث ما نهله من علوم فإنتفع الخلق على يده وظهرت عليه بركته وفعلت فيهم سيرته الصالحة ونيته[4].

وكراماته الموجودة بين متون المصادر التاريخية خير قرينة على ذلك:

-كرامات الشيخ الولي الصالح محمد بن عمر الهواري:

اشتهر الشيخ محمد بن عمر الهواري بكراماته العديدة وكان إذا جلس في مجلسه يتحدث عن "الخواطر"، فيجتمع الناس حوله ليكشف لهم عن أحوالهم ويطلعهم عن خبايا أسرارهم وقد شاع عنه ذلك وإنتشرت أخباره بين الناس مما جعل المسافرين وذوي الحاجات يقصدونه أملا في تيسير أمورهم وتفريج همومهم[5]وقد كثرت الروايات عن هذا الولي في أقواله وأفعاله وكراماته حتى صار من الصعب حصرها أو عدها ومن أبرز كراماته:

-كرامة المكاشفة:

[1]-ابن صعد التلمساني، المصدر السابق، ص11.

[2]- ابن صعد التلمساني، المصدر نفسه، ص12.

[3]-ابن صعد، المصدر نفسه، ص12، انظر ابن مريم ص228.

[4]-ابن مريم، مصدر نفسه، ص289.ابن صعد، مصدر نفسه ص43.

[5]-ابن صعد، مصدر نفسه، ص111و112.

تتمثل في الكشف عن بعض الأسرار وخبايا النفوس وأمور غيبية لا يعلمها إلا الله[1]وردت كرامة مكاشفة في حق العالم ابن مرزوق، إذ يقول الشيخ الحجة عبد الحميد العصنوني من الونشريس أنه زار الشيخ لمسألة العلم فقال له الشيخ الهواري: انما يجيب عن هذه المسألة بن مرزوق ولم أذكر الأمر حتى التقيت بالشيخ ابن مرزوق ذات يوم بالمسجد فجدبني من يدي وقال لي ادكر ما سمعت من الشيخ محمد الهواري فتعجب أيضا من مكاشفة ابن مرزوق بما وقع مع الشيخ الهواري عنده رويت له الأمر كما سمعته من الولي الصالح محمد الهواري فقال لي[2]:الحمد لله الذي ارحتني منها أي من ولديه فهم من قول الشيخ أنه عرف وكشف بقائهما على قيد الحياة وفعلا يقول كان الأمر كذلك[3].

-**كرامات الدعاء:** يروى أن دعائه كان مستجابا على نحو لم يعرف عن غيره من الأولياء في زمانه ومن أشهر الروايات ما نقل عن عثمان بن موسى بن مسعود العامري الذي كان من الظالمين الفاسدين، إذ أخد مالا من أحد أصدقاء الشيخ فأرسل إليه الشيح خادمه ليطلب منه إعارة المال، غير أن عثمان تهجم على الخادم وتكبر عليه، فلما بلغ ذلك الشيخ دعا عليه فاستجاب الله دعاءه وعثر عليه ميتا[4].

-**كرامات التحكم في الوحوش:** يقالإن بركة الشيخ كانت تبطل سطوة الحيوانات الوحشية، فتفقد تلك الوحوش عدوانيتها أمامه، ومن ذلك يروى عن الشيخ عمر الهواري أنه كان يخالط السباع والوحوش دون أن تأدية، لقد كان لهذه الكرامات تأثير بالغ في محيطه، فقد نال الشيخ الهواري احتراما كبيرا ومقاما عاليا بين أهل زمانه، بما في ذلك الشيوخ ورجال السلطة[5].

المبحث الرابع:ظاهرة الولاية في الفكر الصوفي المغاربي:

[1]-ابن مريم، مصدر سابق، ص230و231.

[2]- ابنمريم، المصدر السابق، ص231و232.

[3]-ابن مريم، المصدر نفسه، ص231و232.

[4]-ابن مريم، المصدر نفسه، ص232.

[5]-خليلي بختة، كرامات الشيخ محمد بن عمر الهواري من خلال المصادر التاريخية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، عدد خاص، ديسمبر 2013، جامعة وهران، الجزائر، مجلد 09، ص85.

تعد ظاهرة الأولياء والمتصوفة من الظواهر الاجتماعية والدينية التي تركت أثرا عميقا في الحياة العامة بالمغرب والأندلس، خاصة خلال الفترات التي شهدت اضطرابات سياسية وأزمات إقتصادية وعلى رأسها المرحلة الأخيرة من حكم المرابطين، فمع تراجع قوة الدولة المركزية وتدهور الوضع الإقتصادي نتيجة الحروب والتوسع العسكري، ظهرت الحاجة لدى فئات واسعة من المجتمع بدائل روحية وإجتماعية تخفف من حدة الواقع وتعزز التضامن، وفي هذا السياق برز المتصوفة والأولياء كقادة روحين يقدمون ملاذا نفسيا وسلوكا بديلا، وقد لعبت الزوايا والأربطة دورًا محوريا في تنظيم هذه الحركة ويعتبر هذا التحول الاجتماعي والديني تمهيدا لما عرف لاحقا بظهور الحركات الصوفية[1]:

1-**تعريف الولاية:** وردت كلمة الولاية في القرآن الكريم في عدد من الآيات منها قول الله تعالى«الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجوهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[2]

الولاية في التصور الصوفي مقام روحي سامٍ يتجلى فيه قرب العبد من ربهوقد عرفها القشيري تقسيم ثنائي: الأول أن يتولى الله أمر عبده فلا يتركه لنفسه طرفة عين والثاني: أن يتولى العبد طاعة الله وعبادته بإستمرار دون انقطاع أو عصيان وبهذا تتحقق الولاية بتولٍ متبادل بين العبد وربه قائم على الصفاء والإستقامة والدوام في العبودية[3]أما الحكيم الترمذي فقد وضع نظرية متكاملة للولاية تصورها كمسار ترق روحي من عشر مراتب تبدأ بإقامة الولي في مرتبة الجبروت للسيطرة على النفس، وتليها مراحل من التهذيب والتنقية والتزكية، يمر فيها العبد من ملك السلطان إلى ملك الجمال فالعظمة، فالهيبة، فالرحمة، فالبهاء، فالبهجة، وأخيرا إلى ملك الفردانية، حيث يتحقق له الإنفراد بالحق والخلاص من الشهوات والنزاعات البشرية، هذه الرحلة الروحية

[1]-إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص125.

[2]-سورة البقرة، الآية 257.

[3]-عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق الإمام عبد الحليم محمود محمد بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص341

تمثل انتقالا مستمرا من الصفات البشرية إلى الصفات الإلهية المكتسبة بالتخلق[1]، يربط ابن عربي الولاية بمفهوم النصرة، اذ يرى أن الولاية "نصر الولي أي أنها تجل لنصرة الله لعبده، وقد تكون نصرة خاصة للمؤمنين، أو نصرة عامة تشمل سائر الخلق في إطار ربوبية الله الشاملة، غير أن الولاية بوصفها نعتا إلهيً لا ينسب إلا مقترنا بتعلق خاص بعبادة الصالحين، كما ورد في قوله تعالى«الله ولي الذين آمنوا»...[2]

ومن هنا فالولاية تفهم في التصوف كمقام جامع بين الصفاء الروحي والإنخلاع من صفات النفس. تميز المجتمع المغاربي في العصر الوسيط بإرتباطه الوثيق بالأولياء واعتقاده بهم هؤلاء الذين أصبحت لهم قاعدة شعبية كبيرة داخل المجتمع نتيجة حضورهم في مختلف الفعاليات الاجتماعية، وقدراتهم الحارقة على تجاوز المكان والزمان، وكل هذا الولي يكتسب السلطة في المجتمع المغربي وذلك لسلطاته العديدة ومن بينها[3]:

1-سلطة الكرامة:

تعريف الكرامة: تعرف الكرامة عادة بأنها أمر خارق للعادة الذي يخرق السنن الكونية أو القوانين الطبيعية مثل شخص على الماء أو يطير في الهواء ويشترط لاعتباره هذا الحدث كرامة أن يصدر عن مؤمن صالح وإلا يكون مقرونا بدعوة النبوة، فإن اقترن بها عد معجزة،[4]وقد تظهر بعض الخوارق على عامة الناس لكنها لا تسمى كرامة، بل تُعد معونة من الله تعالى، ولا يعد صاحبها وليًا، لأن الولاية لا تكون إلا لعباد الله الصالحين، وكما أن المعجزة خاصة بالأنبياء فإن الكرامة

[1]-الحكيم الترمذي، ختم الأولياء، تحقيق الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، ص26.

[2]-محي الدين ابن العربي(ت638هـ)، الفتوحات الملكية، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1099، ج3، 371.

[3]-عبد القادر بوعقادة، السلطة الرمزية في مخيال المغرب الإسلامي، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة يحي فارس بالمدية، العدد التاسع، ماي 2018، ص70.

[4]-عبد الله حسن زروق، أصول التصوف، منهجية لدراسة التصوف، المركز القومي للإنتاج الإسلامي، 1995، ص82.

خاصة بالأولياء، غير أن الفارق الجوهري بينهما هو أن الأنبياء مأمورون بإظهار معجزاتهملإثبات صدق دعوتهم بينما يطلب من الأولياء ستر كراماتهم[1].

لقد ساهمت الفعالية الاجتماعية للولي، من خلال كراماته الحاضرة في أزمته الفاقة، والمرض والجوع في ترسيخ سلطته الرمزية، ويتجلى ذلك في عدد من الروايات التاريخية التي توثق تدخلات الأولياء في أوقات الأزمات يذكر التادلي مثلا أن أبا زكريا بن يونان الصنهاجي (ت537هـ) استسقى له في تلمسان فسقوا[2].كما يورد عن الولي ابي يعزى يلنور أن الناس شكوا إليه انحباس[3]المطر فنزع شاشيته عن رأسه وكان رأسه صار كـ "ثغامة" ثم تجرد من برنسه وأرسل دموعه وتضرع إلى الله بلسان الزناتي، قائلا "ايمزغن"، ايمزغن" أي ارحمونا حتى أغمت السماء وأمطرت في الحال[4]. وتتعدى كرامات أبي يعزى الاستسقاء إلى مجال الشفاء، إذ كان يعرف بقدرته على علاج الأمراض والعاهات، حيث يشفى المريض بمجرد أن يلمس موضع العلة، أو يتفل عليه، أو يدلكه بيده، كما يشاع عنه أنه كان الجن يؤتى إليه بالمجانين، فيقول لأحدهم "أزر" أي "انظر" ويأمر الجن بالخروج فيشفى في الحال.[5]تظهر هذه الكرامات مدى الارتباط الروحي العميق بين الولي والمجتمع وتعكس تطلعات الناس إلى وجود شخصية تتوسط لهم في الشدائد.

2- سلطة المكاشفة:

تُعد المكاشفة إحدى أبرز الخصائص التي تمتع بها الأولياء في التجربة الصوفية، إذ تمثل قدرة خارقة يُعتقد أن الولي يحصل من خلالها على معرفة غيبية تتجاوز الإدراك العادي وقد استخدمت هذه السلطة لقراءة المكنونات النفسية للناس، وكشف الأسرار، وحتى التنبؤ بالموت، ما جعل من الولي شخصية مهابة تحيط بها رهبة وقدسية خاصة. ومن الشواهد الدالة على ذلك ما روي عن الولي

[1]-عبد الستار الراوي، التصوف والباراسايكولوجي، ط1، دار الخلود لتراث القاهرة، 2006م، ص44.

[2]-التادلي، التشوف، مصدر سابق، ص123.

[3]-الصومعي، المعزى في مناقب أبي يعزى، مصدر سابق، ص127.

[4]-المصدر نفسه، ص127و128.

[5]-أبو العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989، ص39.

أحمد بن محمد بن يوسف حين طلب من أحد أصدقائه أن يرافقه إلى المقبرة لحفر قبر، ولما سأله عن صاحب القبر أجابه بأن القبر له، لأنه سيموت في اليوم الموالي وفعلا تحقق ما أخبر به، ومثله ما وقع للولي أبي محمد بن وين بن يُوفن الذي أخبر هو الآخر باقتراب أجله فتحقق ما تنبأ به وتكشف هذه الأمثلة عن مدى حضور المكاشفة في حياة هؤلاء الأولياء، ومدى التصديق الشعبي بقدرتهم على استبصار ما لا يُدرك بالحواس.[1]

ومن الوجوه الأخرى لسلطة المكاشفة ما اشتهر به الشيخ أبو يعزى يلنور، الذي ذاع صيته في الآفاق إذ كان يحدث الناس عما يأكلونه وما يفعلونه من منكرات، ومن أشهر القصص التي تُروى عنه ما حدث مع مؤدنه، الذي ضاق درعا بكشف الشيخ لعيوب الناس وجهلهم، فشكا أمره إلى أحد الزائرين قائلا: "عسى أن تكلم الشيخ أبا يعزى أن يستر الناس ولا يفضحهم فإن الرجل جاهل لا علم عنده، فيقول للناس: سرقت يا هذا، وزنيت يا هذا"، لكن المؤدن فجأة أصيب بالخرس حتى جاءه أبو يعزى، فمسح على حلقه وخرجت منه علقة دم، وعاد إليه الكلام، فتاب الرجل من ساعته[2]، إن ما يلاحظ في هذه الوقائع أن المكاشفة منحت الولي مكانة سامية إذ أصبح مطلعا على ماخفي عن عامة الناس، مما جعله يتعالى عنهم روحيا ومعنويًا ومن جهة أخرى وظف الولي هذه السلطة لترسيخ قيم الصلاح والفضيلة في المجتمع، إذ أدت مكاشفاته إلى ردع الناس عن اقتراف المعاصي خشية الفضح أو التأديب فصار حضوره الأخلاقي بمثابة رداع داخلي وسياج إجتماعي يُسهم في تقويم السلوك العام[3].

3- سلطة طي الزمان والمكان:

وهي كرامة ارتبطت بقلة من الأولياء والصالحين من المتصوفة أطلقها الناس على كل من يمتلك القدرة الخارقة على قطع مسافة طويلة جدا في خطوة واحدة أو في لمح البصر فلا يعوقهم بحر ولا جبل وهي أيضا القدرة على التواجد في أكثر من مكان في زمن واحد ومن الأولياء الذين اشتهروا

[1]-التادلي، التشوف، مصدر سابق، ص166.

[2]-الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، مصدر سابق، ص133.

[3]-عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص76.

بهذه الكرامة: الشيخ الصالح أبو مسعود بن عريف (ت717هـ) من صلحاء الشلف بأرض تلمسان قال ابن قنفد: وكان مجاب الدعوة، مشهور البركة وقبره بجبال الشلف يزار ويترك به، وهو من أصحاب الشيخ أبي مدين... وكان يحدث الناس بما يرى من موضعه في تليك إلى قسنطينة وهي في الأصل تبعد عنها مسافة مرحلتين.[1] الولي الصالح كبير الشأن ذو الكرامات الظاهرة والآيات الباهرة أبو العباس أحمد بن الحسن الغماري التلمساني (ت874هـ)[2] قال ابن مريم: قال سيدي بويدير:... فقال لي سيدي محمد وسيدي أحمد اذهب معنا على بركة الله لنحج قال: فذهبت معهما، فصرنا نطير تارة، وتارة تطوى لنا الأرض وإذا جئنا إلى بحر يلتقي طرفاه فنجتازه بقدم واحدة، وقد جزنا على مصر بالليل ونحن في الهواء...فقضينا الحج ورجعنا إلى موضعنا من تلمسان"[3]

4- سلطة الدعاء:

في الموروث الصوفي المغاربي شكل الدعاء أحد أبرز الأسلحة الروحية التي لجأ إليها الأولياء لمواجهة الظلم ليس مجرد فعل مادي بل هو انحراف عن الحق الإلهي يستوجب ردة فعل روحية تردع المتجاوز وتواسي المظلوم وقد زخرت الذاكرة الشعبية بشهادات تحكي عن كرامات لهؤلاء الأولياء كان الدعاء فيها وسيلتهم إلى العدالة.

من ذلك ما يُروى عن أبي الحسن نجا بن عبد الله، المتوفي (سنة 595)هـ حين جاءه أهل مدينة سلا يشكون إليه ما تعرضت له كرومهم من سلب وتخريب على يد أقوام متجبرين فقال لهم:"ليكفيهم إليه؟، ثم بعث إلى كرومهم دويبة تُعرف ب "الرتيلة" فكانت تلسع كل من دخل الكروم من المعتدين فيسقط ميتا في الحين، فتوقف الظلم وانتصرت العدالة بدعاء الولي.[4] وفي

---

[1]-ابن قنفد القسنطيني، مصدر سابق، ص40.

[2]-أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط01، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ج1و2، ص121.

[3]-فؤاد طوهارة، الطقوس والممارسات الرمزية في مجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، قراءة في الوظائف والدلالات، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة 8 ماي 1945، المجلد الثامن، العدد الأول، أكتوبر 2022، ص526.

[4]-التادلي، التشوف، مصدر سابق، ص358.

رواية أخرى عن الولي عبد الرحمن بن عبد الرحمن اليعقوبي أنه قصد إحدى القبائل للإصلاح بين المتخاصمين، فواجهه أحد الرجال بوقاحة قائلا: "لا تصطلح"، فغضب الولي وقال "الله يعطيك الكي"، فما كان إلا أن أصيب الرجل بمرض مفاجئ وأخد يصرخ: "ظهري... بطني "ولم يتوقف عن الكي حتى مات، ليكون عبرة لمن يستخف بكلمة الحق.[1]أما الصالح أبو عمران موسى فقد تعرض لاعتداء أحد اللصوص الذي هدده بالقتل إن لم يسلمه ماعنده من مال، فما كان من الولي إلا أن رفع يديه بالدعاء فاستجاب الله له، وجُن المعتدي في الحال وأصيب بنوبات صرع ظل يعاني منها أياما، يختنق فيها بنفسه حتى إذا أفاق فر هاربا وقد ملأه الرعب. هكذا كانت كرامات الأولياء في المخيال الصوفي تجسيدًا لقوة الدعاء في وجه الظلم، وانتصارا لقيم العدل والحق، حين يعجز الناس عن تحقيقها بأنفسهم.[2]

5-سلطة البركة:

تشير "البركة"إلى الوفرة والنماء والزيادة وقد ارتبطت هذه السلطة بشكل رمزي بالإعترافبولي من أولياء الله الصالحين، إذ أن الولي بمجرد ما ينظر إليه على أنه صاحب بركة يصبح موضع جدب واستقطاب لمختلف فئات المجتمع وطبقاته يأتونه طلبا لنيل بركته.[3]ومن الشهادات التي تؤكد حضور البركة في حياة الأولياء ما رُوي عن" أبي الفضل النحوي" إذ وجد مرة يتوضأ، ولما فرغ من وضوئه لم ينقص من ماء الإناء وبقي كما هو،[4]كذلك روي عن الحاج إبراهيم عيسى بن داوود توفي(سنة 560هـ)أنه لما اشتد الجوع بأحدهم ورفاقه ولم يجدوا ما يأكلون نصحهم بالتوجه إلى هذا الولي، فلما وصلوا إليه قدم لهم طعاما يسيرًا ظنوا أنه لا يكفي حتى واحد منهم، غير أنهم

[1]-ابن مريم، مصدر سابق، ص134.

[2]-التادلي، التشوف، مصدر سابق، ص289.

[3]-عبد القادر بوعقادة، مرجع سابق، ص76.

[4]-التادلي، التشوف، مصدر سابق، ص98.

أكلوا منه حتى أفرطوا في الشبع وبقي الطعام على حاله، وهي رواية تعزز صورة البركة الخارقة التي يحملها الأولياء.[1]

أما عن موقف المجتمع المغربي من بركة الأولياء فتشير بعض الروايات إلى أن الناس كانوا يجتمعون عند باب منزل الولي أبي محمد سيدي عبد الجليل بن وجيلان (ت541هـ) وكانوا إذا خرج إليهم يتبركون بثيابه، طلبا لنيل ما يحمله من بركة روحية.[2]

استنتاج:

تكشف الدراسة التاريخية للتصوف في الغرب الإسلامي عن مسار تطوري مميز، اتسم بالتفاعل الخلاق بين الموروث الصوفي المشرقي والخصوصيات الثقافية والدينية للمغرب الإسلامي. لقد شكّلت نشأة التصوف، ثم انتشاره في هذه المناطق، لحظة تأسيس لحياة روحية جديدة جمعت بين الزهد والولاية والمعرفة الباطنية، وتكاملت مع السياقات الاجتماعية التي احتضنته ووفّرت له شروط التمكين.

[1]-عبد الحق إسماعيل البادسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م، ص62.

[2]-الصومعي، المعزى، مصدر سابق، ص79.

الفصل الثاني:

عنابة المدينة والمجتمع في العصر الوسيط

المبحث الأول: عنابة في مصادر العصر الوسيط

المبحث الثاني: المجال العنابي وحدوده

المبحث الثالث: المجتمع العنابي في العصر الوسيط

المبحث الرابع: الحياة الدينية في عنابة الوسيطية

تقديم:

يشكل هذا الفصل مدخلاً أساسياً لفهم التحولات التاريخية والعمرانية والدينية التي شهدتها مدينة عنابة خلال العصر الوسيط، وقد اختارت الباحثتان الانطلاق من تتبع الهوية الاسمية للمدينة في مصادر ذلك العصر، من خلال تحليل الموروث النصي والجغرافي الذي خلد اسم "بونة"، باعتباره الاسم الذي رافق المدينة خلال العصور الإسلامية، قبل أن يُستبدل لاحقًا باسم "عنابة" المرتبط بثمرة العنّاب. ويؤسس هذا المعطى الاسمي لقراءة في عمق تحولات المدينة، ودورها المحوري في الفتح الإسلامي، وفي الاندماج ضمن المجال المغربي الإسلامي عبر مراحل متعددة من الحكم بدءًا بالأغالبة ومرورًا بالزيريين.

ينتقل الفصل بعد ذلك إلى دراسة المجال الجغرافي والعمراني لمدينة عنابة، مبرزا موقعها الإستراتيجي في الساحل الشرقي للمغرب الأوسط، والانفتاح الذي وفرته لها السهول والمرتفعات والموارد الطبيعية، ما جعلها تؤدي أدوارًا متعددة، تجارية، حربية، وزراعية.

ونستعرض في المبحث الثالث تطور الحياة الدينية في المدينة، مبرزة بروز بونة كمركز مهم للفقه المالكي في وقت مبكر، وظهور نخبة علمية محلية وأخرى مهاجرة استقرت في المدينة وأسهمت في تنشيط الحياة العلمية، على غرار أبي مروان البوني. كما يتناول الفصل تنامي الظاهرة الصوفية التي أضفت على المدينة طابعًا روحانيًا، تُرجم في الزوايا والأضرحة والممارسات التعبدية، وكان لها الأثر الكبير في تكوين الوجدان الجمعي للمجتمع العنّابي.

يجمع هذا الفصل بين تحليل المعطيات التاريخية والجغرافية والدينية والمعمارية، ما يبرز شساعة المجال الحضري الذي انخرطت فيه مدينة عنابة، وأهمية موقعها في خريطة المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

المبحث الأول: عنابة في مصادر العصر الوسيط:

لم تحافظ المدينة على اسمها القديم "هيبوريجيوس" خلال العصر الوسيط، كما لم يطلق عليها اسم هيبون، ولم تعرف بعدها باسم "عنابة" بل أن العرب تصرفوا في هذا الاسم فأغلب المصادر العربية والإسلامية تشير إليها باسم "بونة"، ويُرجح أن مغزى هذا اللفظ بلغة الإفرنج هو "جيدة" وقد كانت آنداك مدينة صغيرة تقع على الساحل المتوسطي[1].أما اسم عنابة فقد ارتبط بثمرة "العناب" التي كانت كثيرة الإنتشار في نواحي بونة، حتى غلب اسمها على المدينة، فسميت بها لاحقا[2] ويرى الأستاذ عثمان الكعاك أن المدينة قد فتحت سنة 51هـ على يد القائد عقبة بن نافع الفهري[3]، كما تذكر مصادر العصر الوسيط أن بونة قد أدت دورا هاما في بدايات الفتح الإسلامي إذ كانت بمثابة حصن للبربر المنهزمين من جيش الروم الذين انسحبوا إليهم وتحصنوا بها بعد أن فتح حسان بن النعمان مدينة قرطاج وبناءًا عليه، فإن المدينة لم تكن قد فتحت بعد حملة حسان بن النعمان التي كانت في منتصف سبعينيات القرن الأول هجري، مما يجعل من الأرجح أن فتح بونة قد يرجع في الربع الأخير من ذلك القرن[4] .

وقد تعاقب عليها بعد الفتح ولاة القيروان، وشهدت خلال ما تبقى من القرن الأول هجري إندماجا كبيرا في المشروع الإسلامي المغاربي حيث أسهم سكانها في هذا التحول فتعلموا العربية وحفظوا القرآن وأصبح لهم سهم مشهود في نشر الإسلام والتعريب في المنطقة. كما شهدت مدينة بونة في العصر الأغلبي نشاطا عمرانيا وثقافيا بارزًا؛ حيث ظهر فيها عدد من علماء المعمار الأغلبي الذين برزوا في فن البناء المعتمد على الزليج والنقش العربي، وهو ما يعكس تأثر المنطقة بالمدرسة المعمارية الإسلامية المزدهرة آنذاك. كما قام الأغالبة بتأسيس أسواق تجارية نشطة وبنو السور الأول

[1]-عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، مكتبة العصرية، بيروت، 1422، 2006، ص252.

[2]-مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1406هـ/1986م، ج1، ص57.

[3]-الكعاك عثمان، عنابة قبل الإسلام، مجلة الأصالة، السنة الخامسة، العدد 34،35، 1396هـ/1976م، ص46.

[4]-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 2012، ج3، ص416.

للمدينة، ما ساهم في تحصينها وتنظيم عمرانها[1]. وقد حضي مرسى عنابة خلال هذه الفترة بشهرة واسعة بفضل هذه الحركة التجارية النشطة التي ربطت المدينة بموانئ البحر الأبيض المتوسط هذا المرسى الذي أصبح يُعرف في العصور الوسطى بمرسى الأزقاق إستمد تسميته من جوف ضيق يُعرف بجوف الأزقاق، الذي كان يصعب الإبحار فيه وقد تعرضت فيه عدة مراكب للإعطال منها مركب القبطاني، والفخري، بالإضافة إلى مراكب أخرى كثيرة[2]، وكان هذا المرسى من أشهر المراسي الحربية في المنطقة ويذكر الكراي أن من مرسى بونة كانت تخرج الشواني(السفن الحربية) غازية نحو بلاد الروم ما يدل على الدور العسكري والبحري الذي لعبته المدينة ضمن الإستراتيجية البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط[3]، كما قام الأغالبة بإنشاء عدة رباطات في منطقة المغرب الأوسط كان لها دور في حماية السواحل وتأمين الطرق ومن بين هذه الرباطات رباط سيدي أبي مروان الشريف، ورباط سيدي إبراهيم في جبل إيوغ، المطل على كل من عنابة وتاكوش وراس الحمراء[4]، شهدت مدينة عنابة خلال العهد الزيري إزدهارًا كبيرا خاصة في المجالين الاقتصادي والمعماري ما جعلها إحدى الحواضر المزدهرة في المغرب الأوسط آنذاك ومن أبرز المعالم المعمارية جامع أبي مروان الشريف الذي مازال قائما إلى يومنا هذا في ما يخص تاريخ تأسيس هذا الجامع، أشار الباحث الفرنسي "جورج مارسي" أن عالم من علماء بونة أحمد البوني ذكره في كتابه الدرة المصونة« أنه تم تشييد المسجد يعود إلى سنة 425هـ وقد حمل هذا الجامع لاحقا إسم الشيخ سيدي أبي مروان الشريف الذي وصل إلى بونة سنة 505هـ ودفن بجانب المؤدنة بحجرة مخصصة له[5]،تؤكد الدراسات التي قام بها جورج مارسي ،أن هذا

[1]-الكعاك، المرجع السابق، ص46و47.

[2]-كاتب مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص127.

[3]- نقلا عن: مبارك الميلي، مرجع سابق، ص170.

[4]-الكعاك، مرجع سابق، ص47.

[5]-رشيد بورويبة، عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي، مجلة الأصالة، العدد 34،35، 01يوليو 1976، ص68و69.

المسجد بالفعل ينتمي إلى العهد الزيري ،مستدلا بذلك بتشابه بنائه مع الجامع الكبير بالقيروان وغيره من المساجد التونسية خصوصا في ما يتعلق بـ:

-الجناح المركزي الواسع

-القبتين القائمتين علة أعمدة منسجمة.

-الزخارف المعمارية والصنهاجية التي تتطابق مع الأساليب الفاطمية والصنهاجية كما تتجلى الخصائص الزيرية الفاطمية في أسلوب بناء القبب والذي يعود الى القرن 4هـ إلى جانب قاعدة القبة المزخرفة بالتضلعات المتعرجة مثل قبة بني القهاوي بسوسة والذي بني خلال القرن الخامس هجري[1]، يقع المسجد بأعلى منطقة من بونة بالقرب من الزاوية الغربية للمدينة يبلغ طوله 36,50م ويبلغ عرضه 19,60م ويحتوي على بيت صلاة طولها 19،60م، وعرضها يبلغ 19،20م، وحصن تحيط به أروقة من جهاته الأربع وبيت صلاة سيدي أبي مروان مبني على أعمدة رخامية مجلوبة من المباني القديمة أو الإسلامية[2].وفي آخر الدراسة التي خصصناها إلى جامع سيدي أبي مروان نذكر أثناء الترميمات التي أجريت في السنين الماضية عثروا على عدة دنانير من الذهب يرجع عندها إلى الدولة المرابطية[3].

[1]-مرزوق بتة، مدينة بونة وموقعها الإستراتيجي في العصر الوسيط جامعة المسيلة، ص292

[2]-المرجع نفسه، ص293.

[3]-المرجع نفسه، ص71.

المبحث الثاني: المجال العنابي وحدوده:

تقع مدينة عنابة المعروفة قديما ببونة على الساحل الشرقي للمغرب الأوسط[1]، حيث تمتد بشواطئ هذا القسم من المغرب الأوسط بشكل شبه مستقيم، مما جعل رؤوسه وخلجانه قليلة وبالتالي كانت مراسيه محدودة العمق مثل خليج بونة ومرساها[2] وتُعد بونة بمثابة الحد الأول لبلاد إفريقية من جهة الشرق[3]. تتكئ غربا على منحدرات جبال الإيدوغ، وتنفتح شرقا وغربا وجنوبا على سهل عنابة، وهو من السهول القليلة[4]والخصبية في المنطقة ويمتد على شكل هلال طبيعي يُعزز أهمية الموقع جغرافيا وزراعيا. أما بونة القديمة فكانت تقع على بُعد ثلاثة أميال من موقع عنابة الحديثة[5]، في مساحة قدرت ب 60 هكتارا، حسب تقويمات بعض المؤرخين وعلماء الآثار[6]، وقد عُرفت في القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي باسم مدينة زاوي[7]، وهي محصورة بين وادي بوجمعة الأسفل من الجهة الشمالية الشرقية ومجرى وادي سيبوس الأسفل من الجنوب الشرقي، حيث يستقبل الخليج قرب المدينة مياه هذا الوادي الذي يبلغ طوله حوالي 225 كلم. ويطل على المدينة جبل إيدوغ الذي يشتهر ببرودته وكثرة تساقط الثلوج عليه، ومن غرائب هذا الجبل وجود مسجد قديم لا يصيبه الثلج رغم شدته، إذ يبدو المسجد في وسط الجبل المغطى بالثلج كعلامة بارزة، وكأنه شامة بيضاء وسط بياض الثلج[8].كما يعد سهل عنابة من أهم السهول الجزائرية الساحلية الكبرى فهو متسع نسبيا وتتخلله عدة أودية، يمتد طوليا على مسافة 120 كيلومتر، وعرضا ب 20كيلومترًا، يحده شمالا جبل الإيدوغ

---

[1]-ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ترجمة خليل شحادة، زكار سهيل، ط2، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص76.

[2]-مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص48.

[3]-عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص152.

[4]-شارل أندري جوليان، تاريخ لإفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ترجمة محمد مزالي البشر بن سلامة، تاوالت الثقافية، 2011، ص16.

[5]-البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، ص55.

[6]-مرزوق بتة، مرجع سابق، ص283.

[7]-البكري، المصدر السابق، ص55.

[8]-مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص127.

وشرقا الكثبان الرملية الممتدة على الساحل، التي تفصله على البحر وينحدر السهل في اتجاه البحر، أما جنوبا فكان ينتهي سابقا عند جبال سوق أهراس لكنه أصبح ينتهي عند حدود ولاية الطارف بعد إنشائها. يُستغل هذا السهل في الزراعة حيث تُزرع فيه عدة مزروعات أكثرها تجارية مثل الحوامض والتبغ والقطن والطماطم ودوار الشمس إلى جانب الخضر والفواكه[1].

أما بالنسبة لميناء عنابة فيقع غرب الخليج وتوجد به كواسر للأمواج تقيه من الرياح الغربية العاتية والمد والجزر والتيارات البحرية التي تقذف بالروسوبيات ويمتد جنوب الميناء شاطئ واسع يصل إلى غاية مدينة القالة، لكن ونظرا لإنفصال ولاية الطارف عن ولاية عنابة صار الخليج يمتد فقط إلى شاطئ البطاح أما الشاطئ الجنوبي لعنابة فيبدأ من خليج جوانوفيل المعروف اليوم بوادي السيبوس، إلى غاية الشاطئ القريب من مطار عنابة ولا تتجاوز هذه المسافة 17 كيلومترا، بعدما كانت تصل إلى نحو 80 كيلومتر، قبل إحداث ولاية الطارف[2].يعد هذا الموقع ذا أهمية إستراتيجية كبرى إذ يسيطر على الخليج ويشكل ممرا حتميا للملاحة كما يُعد رأس القنطرة للعبور من الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط إلى شرقه ويقع هذا الخليج مقابل أقصى الجنوب من جزيرة سردينيا، على مسافة معينة من رأس بوفحلفيُعد مدخلا إلى المضيق السرديني، الصقلي الإفريقي الذي ينفتح لاحقا قرب مرسى قليبة بالقطر التونسي[3]. فمنطقة عنابة منطقة رطبة يكثر بها التهطال(المطر)من جهة أكثر من 400 ملم، إلى 1000ملم ومع قلة التبخر من جهة أخرى فغطاؤها النباتي يكون كثيفا، فالجبال عامرة بالأشجار الغابية كالصنوبر والبلوط وأشجار الفلبين والضرو بالإضافة إلى الغابات القصيرة كالأجمات من الريحان والصماروالقندول والملية والعلائق والديس وشجيرات العناب والتوت واللنج بالإضافة إلى الحشائش والسراخس وأشجار الفاكهة، أما السهل فيتوفر على عديد المزروعات الغذائية

[1]-محمد جندلي، عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافية في القديم والوسيط، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 1429هجري/2008ميلادي، ج1، ص37و38.

[2]-محمد جندلي، مرجع نفسه، ص38.

[3]-سعيد دحماني، من هيبون بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب جغرافي، ط1، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هجري/ 2007ميلادي، ص278.

كالحبوب من الشعير والقمح والدرة وأصناف القطانية من عدس وحمص وفاصوليا وفول وكذلك المزروعات التجارية والغدائية والبقول والسورغو والأخشاب[1] ...الخ

تقع عنابة في المناطق المعتدلة الدافئة بين مدار السرطان والقطب الشمالي مثل بقية القطر الجزائري هذه المنطقة تتابع نظام الفصول الأربعة ولها إختلاف الحرارة شتاءا وصيفا مع إختلاف طول النهار أو الليل وهذا الإختلاف تبعه إختلاف في المناخ والنبات والتربة والمياه والأمطار[2].

كما يصف الرحالة الأندلسي العبدري عند مروره بمدينة بونة في أواخر القرن السابع الهجري، حال المدينة بوصف أدبي مشحون بالعاطفة يعكس الأثر النفسي الذي خلفته الظروف السياسية والعسكرية على الرحالة. ويشير إلى أن بونة كانت "بلدة بطوارق الغير مغبونة"، أي أنها كانت خاضعة لسلطة أجنبية مستبدة، ولم تنجُ من النهب أو الاستغلال. وقد بدت له المدينة ممتدة المساحة في ظاهرها، إلا أن الكوارث والنكبات طغت عليها، فصارت منكمشة مطوية، وكأنها قد تقلصت بفعل المصائب والنكبات التي ألمت بها.

ويضيف العبدري أن المدينة تترقب البحر كأنها تتابع تغيراته من مدّ وجزر، ويصور هذا الترقب كحالة انتظار دائم لمصير غير معلوم. كما شبهها بمريضة تتألم من قسوة الزمن وجور المصائب، تثير في النفوس شفقة وتعاطفًا. ويبدو من وصفه أنه لم يُتح له المقام طويلاً فيها بسبب اضطرابات الوضع الأمني، ما حال دون تحقيق رغبته في استكشافها عن كثب.

ومن أغرب ما سجله الرحالة في مروره بمدينة بونة، أنه صادف وجود زورق صغير للنصارى — لا يتجاوز عدد من على متنه عشرين فردًا — وقد فرض حصارًا بحريًا على المدينة، حتى شُلّت الحركة فيها، ومنع الدخول والخروج. وبلغ التهديد حدًا أنهم أسروا بعض الأشخاص من البر بهدف استخدامهم كرهائن للمطالبة بالفدية، مما يعكس هشاشة الوضع الأمني آنذاك، والتحديات التي

[1]-محمد جندلي، مرجع سابق، ص40و41.

[2]-محمد جندلي، مرجع سابق، ص42.

كانت تواجه المدن الساحلية الإسلامية في تلك الحقبة. وفي ختام وصفه، يرفع العبدري أكفّ الدعاء إلى الله، مستنجدًا به بلغة خاشعة أن يلطف بعباده في مواجهة تقلبات الأقدار وصروف الدهر.[1]

[1]-محمد العبدري البلنسي، رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، تقديم الدكتور شاكر الفحام، المكتبة الشاملة الذهبية، ص104.

المبحث الثالث: المجتمع العنابي في العصر الوسيط:

1-الأثر السياسي والاقتصادي في تشكل المجتمع العنابي الوسيط:

برزت مدينة بونة (عنابة) خلال العصر الوسيط كمجتمع حضري نشيط يتسم بتركيبة سكانية متنوعة وأنماط حياة متداخلة، وقد لعب العامل الاقتصادي دورًا حاسمًا في بلورة هذه الظاهرة الاجتماعية وتشكيل معالمها المادية والرمزية. فالموقع الجغرافي الاستراتيجي للمدينة، وانفتاحها على البحر الأبيض المتوسط، جعلا منها مركزًا حيويًا للتجارة، والتبادل الثقافي، والدفاع البحري، مما انعكس على تركيبتها السكانية ومظاهرها العمرانية والاجتماعية[1].

كان للميناء الطبيعي لبونة دورٌ أساسي في ربط المدينة بالمراكز الاقتصادية الكبرى في غرب وشرق المتوسط، مثل مدن إيطاليا والأندلس، وهو ما ساهم في ازدهار المبادلات التجارية والصناعات البحرية مثل صيد الأسماك وجمع المرجان وتصديره، وجعل المدينة محطة رئيسية في شبكة التبادل التجاري بين المشرق والمغرب. وبهذا تحولت بونة إلى مجتمع تجاري نشط، تسكنه فئات اجتماعية متعددة من تجار محليين وأندلسيين وأوروبيين، إلى جانب الحرفيين والعمال الموسميين، مما عزز الطابع المتعدد ثقافيًا للمجتمع العنابي الوسيط.

ساهم النشاط الاقتصادي في تشكيل هرم اجتماعي واضح داخل المدينة، إذ ظهرت فئات اقتصادية مؤثرة مثل تجار البحر والموردين الكبار، إلى جانب الصناع المهرة، في حين استقر السكان الأصليون أو الفلاحون في أطراف المدينة، مرتبطين بالأرض والزراعة. ومن اللافت أن الأنشطة الاقتصادية لم تكن محصورة في التجارة البحرية فحسب، بل شملت الزراعة في السهول الخصبة المحيطة، مما خلق تداخلا وظيفيًا واجتماعيًا بين المدينة والريف.

أدى هذا الازدهار الاقتصادي إلى بروز طابع عمراني مميز في المدينة، تمثل في بناء المنشآت الدينية والعلمية مثل جامع سيدي أبي مروان، الذي يعكس ليس فقط ازدهارًا عمرانيًا، بل أيضًا وعيًا دينيًا وروحيًا لدى الطبقة المتوسطة والمتعلمة التي ساهمت في تمويل وبناء هذا المعلم. كما سمح الاستقرار

[1]- رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص70.

الاقتصادي بتطور مؤسسات الضيافة، والخانات، والأسواق، التي كانت تنظم العلاقات الاجتماعية والتجارية للمدينة[1].

كانت المعاهدات التي أبرمتها بونة مع مدن أوروبية كجنوة وبيزة ومرسيليا، مؤشرًا على مكانتها الدولية، لكنها أيضًا ساهمت في خلق جاليات أجنبية مستقرة داخل المدينة، سمح لها بممارسة التجارة وفق نظمها الخاصة، مما أدى إلى تنوع ثقافي وديني داخل المدينة، كما هو الحال مع الأسقفية المسيحية التي أُنشئت في المدينة في العهد الحمادي. وقد انعكس هذا التنوع في تشكيل نسيج اجتماعي أكثر انفتاحًا وتسامحًا نسبيًا، مقارنةً ببعض الحواضر الداخلية في نفس الفترة[2].

رغم تعرض المدينة للغزو أكثر من مرة من قبل الصقليين وغيرهم، إلا أن حيوية اقتصادها مكّنتها من النهوض مجددًا بفضل علاقاتها التجارية، وقدرتها على التفاوض السياسي عبر المعاهدات. وهو ما جعل من العامل الاقتصادي ليس فقط محركًا للتنمية الاجتماعية، بل أداة مقاومة حضرية في وجه التحولات السياسية والعسكرية.

لقد أسهم العامل الاقتصادي بفاعلية في تشكيل معالم المجتمع العنابي الوسيط، حيث لم يكن الاقتصاد مجرد نشاط مادي بل كان محركًا اجتماعيًا وثقافيًا، أسهم في تنوع الفئات الاجتماعية، وفي بناء مؤسسات حضرية قوية، وخلق مجتمع مفتوح على العالم، متعدد الوظائف والانتماءات، يعكس تفاعلًا ديناميكيًا بين الجغرافيا والإنسان والتاريخ

شهد المجتمع العنابي في العصر الوسيط تحولات عميقة كان للحياة السياسية فيها دور حاسم، حيث أفرز تعدد القوى الحاكمة وتناوبها على المدينة حالة من التذبذب في الاستقرار، انعكست بوضوح على البنية الاجتماعية والديموغرافية لبونة. فقد انتقلت المدينة من سلطة الزيريين إلى الحماديين ثم الموحدين، وعرفت خلال هذه الفترات محاولات للغزو والاحتلال من طرف قوى أجنبية كالنورمان بقيادة روجار الثاني، إلى جانب التمردات الداخلية التي أدت إلى تغييرات متتالية في النخبة السياسية

[1]-محمد جندلي، مرجع سابق، ص40.

[2]-سعيد دحماني، مرجع سابق، ص278.

والدينية والتجارية. وكان هذا التعدد في الولاءات السياسية سببًا في إعادة توزيع السكان بين المراكز الحضرية والريفية، وتغير مراكز النفوذ، وهو ما ساهم في خلق مجتمع عنابي متقلب في تركيبته ووظائفه، لكنه حافظ رغم ذلك على طابعه التجاري والدفاعي بفعل موقعه الاستراتيجي.

وفي ظل الحكم الحمادي، تحولت بونة إلى مركز دفاعي وتجاري حيوي، بفضل موقعها على الساحل وسيطرتها على مداخل البحر الأبيض المتوسط. وقد عمل الحماديون على تحصين المدينة وتشييد الأسوار وتنظيم مرافقها، مما أدى إلى استقطاب أعداد من السكان، خاصة من العلماء والحرفيين والتجار الفارين من مناطق النزاع في الداخل. ومع دخول الموحدين، اكتسبت المدينة بعدًا جديدًا، إذ أصبحت قاعدة بحرية استراتيجية للأسطول الموحدي، ما استدعى جلب فئات بشرية جديدة مرتبطة بالمشروع السياسي والديني الموحدي، وأسهم ذلك في إعادة تشكيل البنية السكانية والاجتماعية للمدينة على أسس جديدة أكثر ارتباطًا بمفاهيم الدولة المركزية والدعوة الموحّدية.

من جهة أخرى، كان للهجرات الهلالية تأثير بالغ في إعادة تشكيل المجتمع العنابي، وإن كان ذلك بشكل غير مباشر. فقد أدى اجتياح الهلاليين للمدن الكبرى في إفريقية كالقيروان إلى موجات نزوح جماعي لسكان هذه المناطق نحو المراكز الساحلية[1]

الآمنة مثل بونة. ونتيجة لذلك، تحولت المدينة إلى ملاذ للاجئين واحتضنت شرائح اجتماعية جديدة من الفلاحين والعلماء والتجار الذين ساهموا في إثراء نسيجها السكاني، وتوسيع قاعدتها البشرية. بل إن أحد زعماء بني هلال تمكن لفترة من السيطرة على المدينة، ما يعكس دخول العنصر الهلالي كلاعب في المعادلة السياسية المحلية، وإن لفترة وجيزة. لقد ساهم هذا التفاعل بين التحولات السياسية الكبرى والهجرات القسرية في بناء مجتمع عنابي مركب، يجمع بين الطابع الدفاعي والطابع التجاري، ويعكس التوترات والفرص التي أفرزها العصر الوسيط في بلاد المغرب. وبفضل هذا التراكم،

[1] زكرياء قرناح، قبائل بني هلال وارتباطهم بظاهرة الحرابة في المغرب الإسلامي (ق7-9هـ/ق13-15م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج 17، ع1، جويلية 2019، ص619.

تحولت بونة إلى فضاء حضري نابض بالتعدد والتفاعل، يجمع بين الوافدين وأهل الأرض، ويوظف موقعه الجغرافي ليرتقي إلى مصاف المراكز الحضرية الكبرى في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط

2-التصوف كملاذ في زمن الاضطراب:

عرف المجال العنابي خلال العصر الوسيط تقلبات سياسية حادة تميزت بتناوب عدة سلط على حكمه، من الزيريين إلى الحماديين ثم الموحدين، وهي تقلبات لم تَمنح المدينة فترات طويلة من الاستقرار السياسي، بل أسهمت في هشاشة بنيتها الدفاعية والسياسية أمام التهديدات الخارجية، خاصة تلك القادمة من القوى الصليبية النشطة في حوض البحر الأبيض المتوسط.[1] فضعف السلطة المركزية، سواء بسبب الصراعات الداخلية بين الأسر الحاكمة أو نتيجة الضغط المتواصل من القبائل الهلالية والغزوات الأجنبية، جعل من عنابة (بونة) مدينة عرضة للاحتلال والمساومة، كما حدث عند استسلامها مؤقتًا لروجار الثاني النورماني، الذي نصب عليها عاملاً من آل حماد مقابل حماية شكلية، في حين لم تتردد القوى الأوروبية كبيزة وجنوة ومرسيليا في شن حملات متكررة على السواحل المغاربية، مستهدفة بونة تحديدًا لموقعها المينائي الإستراتيجي وانفتاحها على طرق الملاحة والعبور البحري[2].

في ظل هذا الوضع المقلق، حيث الأمن مهدد من الداخل بفعل ضعف الدولة، ومن الخارج بفعل الضغط الصليبي، لم يجد سكان المدينة وسكان نواحيها ملاذًا يحفظ لهم شيئًا من الاطمئنان سوى التعلق بالتصوف والزهد والبحث عن ملجأ روحي في حضن الأولياء والعارفين بالله. فقد شهدت هذه المرحلة انتشارًا واسعًا للفكر الصوفي والكرامات، بما هو تعبير عن حاجة الناس إلى حماية غيبية وسط انهيار الحماية الدنيوية. لم تكن الزوايا والرباطات مجرد فضاءات دينية، بل تحولت إلى حصون رمزية يلجأ إليها الخائفون والمستضعفون، بحثًا عن البركة والدعاء ودفع الشر.

1-روبير برانشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15م، در الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص264.

2-رشيد تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط في عهد روجر الثاني 1101-1154م بين أطماع النورمان وضعف القوى الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، مج13، ع1، جانفي 2012، ص74.

ومع شيوع الفقر والجوع والخوف من الغزو والنهب، انتشرت الروايات عن الأولياء الذين يحمون ديار المسلمين من "فرسان البحر" ويكشفون البلاء عن الناس بدعائهم وكراماتهم. وهكذا، أصبح التصوف في المجال العنابي ظاهرة اجتماعية بامتياز، تسعى إلى ترميم ما تقوض من الثقة في السلطة الزمنية، وتحل محل الدولة المنهكة، من خلال بناء شبكات حماية روحية وأخلاقية، كانت تسكن الذاكرة الجمعية وتحافظ على قدر من التماسك الاجتماعي وسط محيط مليء بالمخاطر[1].

لقد أدى غياب الصرامة المركزية وضعف الحضور السلطوي الفعلي في المجال العنابي إلى ترك فراغ كبير ملأته الزوايا وأضرحة الأولياء ومجالس الذكر، فتحول التصوف من مجرد طريقة روحية إلى وسيلة اجتماعية للتماسك ومواجهة الأخطار، بل إلى نمط من المقاومة الصامتة للخراب القادم من البحر ومن الداخل على حد سواء.

[1]- لمزيد من المعلومات حول اللجوء إلى التصوف والفكر الكرامي ينظر: سعيد شريدي، المتصوفة والسلطة العثمانية بالجزائر، مظاهر التوظيف السياسي للفكر الكرامي (قراءة تاريخية أنتربولوجية، مجلة أنتربولوجيا الأديان، 1/18، جانفي 2022، صص 478-498.

المبحث الرابع: الحياة الدينية في عنابة الوسيطية:

عرفت "بونة" انتشارا واسعا للإسلام مما ساهم في تطور العلوم الدينية في موقعها الحضري خلال العصور الوسطى، ففي القرن الخامس هجري/ الحادي عشر للميلاد ورغم انتشار الدعوة الشيعية الإسماعيلية في القرن 3هـ/9م لم تفقد السنة مكانتها في المدينة بل على العكس، أصبحت بونة مركزا مهما للفقه المالكي حيث استقبلت العديد من العلماء من أبرزهم الفقيه الأندلسي أبو مروان عبد الملك بن علي، المعروف بشرحه للموطأ للإمام مالك بن أنس قد استقر هذا الأخير في بونة ودرّس في جامع المدينة الذي أصبح لاحقا يحمل اسمه مشتركا في هذا الشرف مع شيخه ومعاصره، الفقيه المحلي، أبو عبد الله محمد الهواري[1] وخلال القرون الموالية أنجبت بونة عددا من العلماء والفقهاء الذين داع صيتهم في العلوم الدينية. نذكر منهم: أحمد بن علي يوسف البوني توفي(622هـ)، أبو زكرياء يحي الكسيلي خلال القرن التاسع هجري[2]،أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التمام خلال القرن الثامن هجري. إلى جانب هذا الزخم في الفكر الشرعي عرفت بونة منذ القرن الخامس هجري بروز التصوف كمنهج ديني قائم على البعد الروحي والإحساسي تأثر بأعلام كبار مثل القطب عبد القادر الجيلاني، وأبو الحسن الشاذلي، وأبو مدين شعيب، وقد نشأت في المدينة وضواحيها عدة طرق صوفية منها: القادرية والشاذلية، العيساوية وغيرها، ولكل طريقة زاوية وقبة ترمز إلى مركز تلقين وتعليم، حيث يجتمع المريدون والمتطوعون للانخراط في الطريقة، ورغم أن بونة طرحت إشكالية التوفيق بين التصوف والعقيدة الدينية، إلا أن مؤلفات أحمد بن قاسم البوني تظهر أن هذه المسألة قد تم تجاوزها من قبل جيل من المشايخ والعلماء الذين جمعوا بين العلوم الشرعية والتصوف بل والعلوم التجريبية أيضا ومن أبرز هؤلاء :

[1]-أحمد بن أبي عبد الله قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، حققها وشرح حواشيها وعلق عليها الأستاذ محمد لخضر بوبكر والدكتور سعيد دحماني، ط1، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، 2010، ص20.

[2]-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر مرصد الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ، 1980م، ص47،49.

أبو مروان البوني، أحمد بن علي البوني، أبو العباس أحمد بن فارح، الذي جمع بين العلوم الدينية والطب والتعليم والتصوف، ومحمد الساسي بن إبراهيم البوني (ت1059هـ)وسيدي إبراهيم المرداسي(ت1078هـ)الذي لا تزال ذكراه حاضرة إلى الآن حيث ظل ضريحه وقبته مقصدا للزوار حتى سبعينات القرن الماضي[1]، ومن هنا برزت الظاهرة الصوفية في المجال العنابي بشكل لافت متقدمة على غيرها من الفضاءات في البلاد الجزائرية حيث تجسدت ملامح الفكر الصوفي بوضوح على إمتداد القرون من القرن 5-13هـ/11-19م، وقد تميز هذا الإمتداد التاريخي بإنتشار واسع للإعتقاد الولائي، سواء من حيث العمق الاجتماعي أو الإمتداد الجغرافي، مترافقا مع سرديات كرامية ووقائع خارقة وممارسات طقوسية منتظمة إضافة إلى مظاهر عمرانية، شكلت جزءا من الحياة اليومية للعنابي، وأثرت في علاقاته ونظرته للكون والإنسان.

وتُعد من أوائل وأهم مظاهر هذه الصوفية الولائية في مدينة بونة ضريح سيدي أبي مروان الشريف الذي تحول مع مرور الزمن إلى مركز روحاني يحظى بالإجلال ومزارا يقصده الناس من مختلف الأنحاء غير أن المفارقة تكمن في أن أبا مروان وفق كتب التراجم والسير لم يعرف كصوفي بالمعنى التقليدي، بل برز كفقيه مالكي، عالم دين، دون أن تذكر المصادر انتسابه إلى أي طريقة صوفية بعينها. لكن الوجدان الشعبي والذاكرة الجماعية البونية تجاوزت هذه المعطيات المحدودة فخلعت عليه طابع الولاية وألحقته بمقامات الأولياء أصحاب الكرامات وقرنته بالمناقب الصوفية وقد كان البوني أحد كبار أعلام الصوفية من أوائل من منح أبا مروان هذا البعد الروحي حينما قرنه بالغوث سيدي أبي مدين شعيب واصفًا ضريحه بأنه مأوى تلجأ إليه الأرواح الباحثة عن النصر والسكينة حيث قال: "وكل جان بالضريح منه أتاه الظفر بالضريح[2]".

[1]-أبي القاسم البوني، الدرة، مصدر سابق، ص21.

[2]-سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص1و2.

استنتاج:

يتبيّن من خلال هذا الفصل أن مدينة عنابة (بونة) لم تكن مجرد موقع جغرافي على الساحل الشرقي للمغرب الأوسط، بل كانت حاضرة قائمة بذاتها، شكلت محورًا للتفاعلات الحضارية والسياسية والدينية التي عرفتها المنطقة خلال العصر الوسيط. فقد كان لموقعها الاستراتيجي، وما توفر لها من موارد طبيعية وبحرية، دور محوري في تطورها كمركز تجاري وعسكري وعلمي.

كما يثبت التحليل التاريخي أن المدينة لعبت دورًا أساسيا في بدايات الفتح الإسلامي، واتضحت مع الزمن مركزا للفقه المالكي وللثقافة الإسلامية بشقيها الشرعي والصوفي. وقد ساهمت هذه الأدوار في إنتاج نسيج اجتماعي وثقافي متماسك، جعل من عنابة مدينة مؤثرة في محيطها ومقصودة من العلماء والرحالة.

ومن أهم ما يخلص إليه هذا الفصل، أن الحياة الحضرية في عنابة كانت قائمة على تفاعل وثيق بين البنية المجالية، والتوجهات السياسية للدول المتعاقبة، والمرجعيات الدينية التي صنعت هوية المدينة، ما يجعل من دراسة عنابة في العصر الوسيط مدخلاً لفهم ديناميات التحضر في الغرب الإسلامي.

الفصل الثــالث:

الظاهرة الصوفية في عنابة في العصر الوسيط وبداية الفترة الحديثة

المبحث الأول: أبرز أولياء عنابة

المبحث الثاني: السرديات الكرامية لأولياء عنابة

المبحث الرابع: أضرحة عنابة (كثافة الإنتشار الصوفي)

تقديم:

يُعدّ التصوف أحد المكونات المركزية في التاريخ الثقافي والديني لمدينة عنابة، إذ أسهم منذ القرون الوسطى في تشكيل أنماط التدين المحلي، وتوجيه المخيال الجمعي، وبلورة علاقات السلطة الروحية في الفضاء المغاربي. وقد مثّلت عنابة، بموقعها الجغرافي ومكانتها الدينية، محطة كبرى في مسار تطور الظاهرة الصوفية، فانبثقت منها طرقا وممارسات وأسماء أولياء أصبحوا رموزًا للتقديس والتبرك، واستمر تأثيرهم إلى بدايات الفترة الحديثة.

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين يعالجان جوانب مختلفة من هذه الظاهرة. يركز المبحث الأول على التعريف بأبرز أولياء عنابة الذين ذاع صيتهم محليًا وجهويًا، مع إبراز أدوارهم الدينية والاجتماعية، والوظائف التي اضطلعوا بها في محيطهم. أما المبحث الثاني، فيتناول السرديات الكرامية المرتبطة بهؤلاء الأولياء، والتي شكّلت جزءًا من الموروث الشفوي والمكتوب الذي أسس لصورتهم في الوعي الشعبي، وأسهم في توطيد مكانتهم الرمزية ضمن التقاليد الصوفية المحلية. وللإشارة فإننا شح المادة العلمية قد أجبرتنا على الاقتصار على عدد محصور جدا من المصادر.

المبحث الأول: أبرز أولياء عنابة

1/أبو مروان الشريف: أبي مروان بن علي الأسدي القطان البوني المالكي كان من أعلام الفقه والحديث والتفسير في عصره أصله من قرطبة حيث نشأ وتلقى علومه الأولى، ثم انتقل إلى القيروان قبل أن يستقر في مدينة بونة من بلاد إفريقية، اعتنى بالعلم ودرس وشرح الموطأ وأخد عنه جمع من الناس، وقد ذكره الشيخ الخولاني فقال: أبو مروان بن علي القطان كانت له رحلة إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس ثم استوطن بونة من إفريقية حيث التقى جماعة من العلماء وروى عنهم وكتب عنهم وألف مصنفات كثيرة من أشهر مؤلفاته: شرح الموطأ وكتاب الراعي، وشرح صحيح البخاري، وكتاب البيان وغيرها من المصنفات القيمة وكان شرحه على الموطأ حسنا نافعا. أجازه العلماء وأجيز له بجميع مروياته بخط يده سنة 448هـ/1056م[1]، وتوفي رحمه الله سنة 501هـ/ 1108م، وكان من

[1]-أحمد بن قاسم البوني، الدرة، مصدر سابق، ص113و114.

معاصري الإمام أبي الوليد الباجي والشيخ سيدي أبي العباس السبتي وتوفي في نفس السنة التي توفي فيها الأخير[1]

يقع ضريح سيدي أبي مروان الشريف داخل غرفة ملحقة بالجامع الذي شيّده أبو الليث نحو سنة 425 هـ، ويطل هذا الموقع على اليابسة، كما يضم بعض المرافق المطلة على البحر. وقد اقترن اسم الضريح باسم سيدي أبي مروان إلى حدٍّ طغى فيه على اسم بانيه الأصلي، حتى شاع في ألسنة الناس القول: "البناية لبو الليث والشنعة لبو مروان[2].

2/**سيدي محمد الهواري**: يُعد سيدي أبو عبد الله الهواري، رحمه الله من كبار أولياء مدينة بونة في القرن الخامس هجري، الذين خلدهم التاريخ والوجدان الجمعي، لما عرف به من صلاح وورع وكرامات جعلت له مكانة بين الصلحاء والعارفين، وقد وردت عنه روايات عديدة متعددة تواترت عبر المصادر تفيد بشدة ارتباطه بالمدينة ومن الروايات الشهيرة، ما نقله المؤرخ ابن فضلون ان النصارى حين نزلوا سواحل بونة بغرض الغزو رأوا عند قبر سيدي الهواري مصابيح توقد، فظنوا ان أحد من المسلمين بات يحرس في المكان فنزلوا لاختباره ومباغتته، لما اقتربوا من الروضة انكسرت شوكتهم، وهربوا من الطريق التي جاؤوا منها، ثم اسر بعضهم، فمثل بهم، وقيل انهم بعد التحقيق عرفوا أن ذلك المكان المقدس وأن بركته حاضرة، مما زاد هيبة الولي ومكانته في نفوس الناس، ويورد ابن فضلون أن بعض شيوخ شيوخه حدثوه عن واقعة ذات دلالة رمزية، اذ يروى أن الشيخ سيدي الهواري حاطب وليا آخرا وهو سيدي ابي مروان قائلا " يا عبد الملك، أنا ضامن الخارج من البلد، وأنت الضامن من كان داخلها " في إشارة إلى تقاسم الأدوار الروحية في حماية المدينة من الداخل والخارج وقد دفن سيدي الهواري خارج أسوار المدينة تحديدا قرب رأس المرسى، بينما دفن سيدي أبو مروان بجوار

[1]-أحمد بن قاسم البوني، التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تقديم وتعليق سعيد دحماني، دار الهدى، عيم مليلة، جوان، 2001، ص50.

[2]-قاسم البوني، مصدر سابق، ص 87.

صومعة الجامع الأعظم[1]، وتدل هذه الروايات على ما كان للولي الهواري من دور رمزي وروحي في حماية المدينة، اذ يقول ابن فضلون واصفا مقامه << مقام هذا السيد منور ادا رأيته تشهد له جوارحك بالولاية >> كما أشار الا أن ما وقع من دفاع مستميث ضد النصارى يوم نزلوا بالمدينة كان ببركة هذا الولي وغيره من الصلحاء، وان آثار ذلك الدفاع حاضرة إلى الان أي إلى زمن ابن فضلون[2].

3/ سيدي عبد الرحمان بن يعيش: هو علي بن أحمد عبد الرحمن بن يعيش يرجع نسبه إلى الصحابي الجليل "عبد الرحمن بن عوف" ولد سنة 490هـ " قاضي إشبيلية ناضرا في المدونة عن أبي عمران الناجي، وسمع ابن عتاب وابن رشد وناوله تأليفه وابن الحاج وأبو الحسن، ابن مغيث وابن بقي وأخد العربية عن ابن الأخضر، كان عالما وفقيها مشاورا محدثا عدلا متقدما توفي سنة 567هـ وكانت جنازته مشهودة وأثنوا عليه خيرا"[3]، وتتعلق سرديته الكرامية وبالوالي سيدي يعيش من ذكره إلى القلوب ريش[4]

4/أبي العباس البوني:(530هـ/1140م–622هـ/1225م): يُعد أبي العباس من أبرز أعلام التصوف المغاربي ومن الشخصيات الصوفية دات الحضور البارز في تاريخ الفكر الإسلامي، خاصة في مجال أسرار الحروف وعلوم الباطن، ولد الشيح في بلدة بونة ومنها استمد لقبه "البوني" وبرز منذ صغره في تحصيل العلوم الدينية فحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه وأتقن قراءته في تونس حيث تلقى العلم على يد عدد من كبار العلماء مثل ابن حرز الله وابن رزق الله وابن عوانة لم يقتصر طلبه للعلم على تونس بل رحل إلى الأندلس حيث التقى بثلة من علمائها منهم أبو القاسم السهيلي وابن بشكوال وأحمد بن جعفر الجزولي السبتي من الأندلس وانتقل إلى الإسكندرية فالتقى أبا طاهر السلفي

[1]–البوني، التعريف ببونة، مصدر سابق، ص73.

[2]–البوني، التعريف ببونة، مصدر نفسه، ص73.

[3]–البوني، الدرة المصونة، ص110.

[4]–سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص11.

وأبا طاهر بن إسماعيل بن عوف الزهري المالكي ثم استقر مقامه فترة بالقاهرة زمن الخليفة العاضد، حيث وجد بيئة علمية خصبة مكنته من التوسع في علومه الروحية والمعرفية[1]،كما عرف البوني برحلاته الواسعة في طلب العلم والتصوف، فقد أدى فريضة الحج وزار بيت المقدس ثم ارتحل إلى دمشق حيث التقى بالحافظ أبي القاسم ابن عساكر، ومنها توجه إلى واسط وبغداد حيث لقي المحدث أبا الفرج ابن الجوزي قبل أن يعود إلى بيت المقدس في مكة ليحج مجددا، ليحط الرحال أخيرا بمصر ثم يعود إلى تونس. وفي تونس تفرغ الشيخ البوني للتعليم والوعظ حيث كان يعلم الصبيان ويؤم الناس في أحد مساجدها قبل أن يترك التعليم ويتفرغ للوعظ والتأليف وقد خلف تراثا علميا وروحيا ثريا يُقدر بأكثر من أربعين مؤلفا من أشهرها: شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف، وهو من أكثر كتبه شهرة، وإن أثار جدلا واسعا بسبب مضامينه في علم الحروف والطلاسم، منبع أصول الحكمة، مفاتيح أسرار الحروف، مصابيح أنوار لظروف وإظهار الرموز وإبداء الكنوز، اللمعة النورانية في الأوراد الربانية، علم الهدى وأسرار الاهتداء في شرح أسماء الله الحسنى، الرسالة النونية في الحقيقة الإنسانية. . الخ وتُظهر هذه المؤلفات عمق البوني في مجال التصوف النظري وعلم الحروف الذي اعتبره علما روحيا لكشف أسرار الكون وتجليات الأسماء الإلهية[2]، توفي الشيخ أبو العباس البوني بالقاهرة سنة(622هـ/1225م) وقد ناهز عمره التسعين عاما، ونقل جثمانه إلى تونس حيث دفن، ليبقى مقامه اليوم من المعالم الروحية المرتبطة بتراث التصوف في بلاد المغرب. ويُعد البوني رمزا لفكر صوفي خاص، مزج بين الزهد والسلوك من جهة وبين علوم الباطن المرتبطة بالحروف والأسرار من جهة أخرى، ما جعل تأثيره ممتدا في أوساط المتصوفة والمهتمين بعلم الحروف، بل وتجاوز أثره إلى التراث الشعبي والروحي في العالم الإسلامي[3]. ويتضح من ديباجة الشيخ أبي العباس أحمد البوني أن دوافعه إلى التأليف تتأسس على رؤية صوفية معرفية عميقة تزاوج بين طلب الحقيقة والسعي إلى نفع الخلق، ضمن تصور شمولي، يجمع بين البعد الروحي والوظيفة التعليمية وتكشف عباراته الافتتاحية عن إدراكه أن للحق "أعلاما"يهتدي

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص118.

[2]-عادل نويهض، مرجع سابق، ص48.

[3]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص119.

بها السالكون وأن للحقيقة نظاما يُدرك بالإلمام بالمعارف الإلهية مما يبرز البعد النظري والروحي الذي يشكل أساس مشروعه التأليفي[1]. ومن بين أشهر الأدعية والأقوال المنقولة عنه، والتي تحظى بقدر من القبول الإعتبار بين أتباعه ما ورد في إحدى مناجاته التي يقول فيها "رأيت «المصطفى صلى الله عليه وسلم فسألته عن أسماء الخلوة فقال: هي سبعة: يالله يا حي، يا قيوم، ياذا الجلال والإكرام، يا نهاية النهايات، يانور الأنوار، يا روح الأرواح كما أضاف توصيات خاصة ببعض الأذكار في حالات نفسية ومعيشية معينة فقال: ولكثرة الأفكار يذكر بعد الوضوء يالطيف ولضيق العيش: يا فتاح، ولقهر الخواطر النفسية والخيالات الشيطانية: ياذا القوة وإذا توجه المريد إلى أمر من أمور الدنيا أو الآخرة فليكثر من قول: يا قوي يا عزيز، يا عليم يا قدير، يا سميع، يا بصير. تُظهر هذه الأدعية خصوصية التجربة الصوفية، حيث يُعتمد فيها على الأذكار بوصفها، أدوات للصفاء الروحي وللتعامل مع حالات نفسية وسلوكية مختلفة، كما تعكس البعد الرمزي الذي يحتل مكانة مركزية في الممارسات الخلوية لدى بعض أعلام التصوف المغاربي[2].

4/**سيدي عكاشة:** من أعلام القرن السابع هجري[3]، لا نملك حوله مصادر مدونة سوى أنه من أولياء منطقة الإدوغ وقد اشتهر بعلمه وتقواه وكراماته التي حفظتها الذاكرة الشعبية وتناقلتها الأجيال عبر القرون، يقع ضريحه بالمرسى في بلدية شطايبي التابعة إداريا لولاية عنابة، وهو اليوم محطة للعديد من الزوار من مختلف أنحاء البلاد الذين يقصدونه للتبرك والتوسل[4]، تميز سيدي عكاشة بحضور قوي في المخيال الشعبي، وقد ارتبطت به العديد من السرديات الكرامية التي تمجد نظاله الروحي والمادي ولا سيما في سياق مقاومة النصارى وهي روايات تقاطعت أحيانا مع وقائع تاريخية شهدتها المنطقة، من الشهادات اللافتة في هذا السياق، ما أورده الرحالة الأندلسي عبد الله العبدري خلال مروره بالمنطقة حيث وثق إثارات إلى مكانة هذا الولي في مجتمعه كما خلدت مآثر سيدي عكاشة في التراث

[1]-أحمد بن علي البوني، شمس المعارف الكبرى، مؤسسة النور للمطبوعات، ط2، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ص06.

[2]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص119.

[3]-سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص11.

[4]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص112.

الشفهي من خلال القصائد الزجلية التي عبرت عن محبة الناس له واعجابهم بكراماته ومن بين هذه القصائد «لم يزل عصرنا مشهورا وكل من حاربه مقهورا[1]»وهي تعبير عن حالة من الإجلال لشخصية سيدي عكاشة تجسيد تصور العامة له كمركز للحماية والانتصار على الأجداد في سردية تجمع بين المعتقد الشعبي والتاريخ الشفهي.

5/**سيدي جامع**: من بين الصلحاء والأولياء الذين استوطنوا مدينة بونة خلال القرن الثامن الهجري، بعد أن نزح إليها من نواحي القل وتحديدا من مضارب أولاد عطية، تميز سيدي جامع بصلاحه وتقواه ومكانته الروحية وقد احتفظت الذاكرة الشعبية بذكره من خلال مديح قديم شاع بين الناس يقول فيه المنشد: "سيدي جامع من خبره شاع في كل المجامع"[2].

5/سيدي محمد عبد الجليل: يعد الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل من الشخصيات العلمية والروحية البارزة التي عرفتها مدينة بونة في الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثامن هجري وبداية القرن التاسع، قد وصفه المؤرخ أحمد بن قاسم البوني في كتاباته بقوله: "الشيخ الفقيه، العارف، الصالح، البركة، المزار الرباني، الملازم لأوراد وتلاوة الترتيل، كانت له أدوار معروفة وأدعية مألوفة، ساعيا في مصالح المسلمين، محبوبا عند الخاصة والعامة من المؤمنين، كما نقل ابن فضلون عن أحد أصحابه أنه قال: لما نزلت النصارى بمدينة عنابة، قال الشيخ لأهله: اغلقي علي الباب ولا تدخلي علي فلما بلغت النصارى باب المقابر ارتفعت الضجة، في المدينة، وظن الناس أن العدو اقتحمها فأتته زوجته لتخبره وفتحت الباب فلم تجده إذ كان رضي الله عنه في ساحات الجهاد" ولقد كانت لشيخ مواقف كثيرة مشهودة في خدمة الشأن العام، إد قدم إلى أمير المؤمنين ابي فارس في بعض القضايا المتعلقة بمصالح عامة المسلمين غير أنه امتنع عن قبول أي عطايا او صلات، مما يعكس زهده وورعه واستعلاءه عن مكاسب الدنيا[3].

[1]-سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص11.

[2]-البوني، الدرة المصونة، ص115.

[3]-البوني، التعريف ببونة افريقية، مصدر سابق، ص74و75.

6/ سيدي علي الخنشاشي: يعد الشيخ سيدي علي الخنشاشي من أعلام مدينة بونة خلال القرن التاسع هجري وقد حاز مكانة متميزة في المشهد العلمي والديني للمنطقة، فهو جد والد سيدي بلعيد، وجد سيدي إبراهيم البوني، ووالد سيدي محمد ساسي، مما يبرهن على امتداد ارثه العلمي والروحي في سلالات العلماء والصالحين الذين خلفوه اشتهر سيدي علي الخنشاشي بتبحره في علوم الحديث الشريف واللغة العربية، كما تميز بذيله وتعليقاته الدقيقة وحواشيه المفيدة على نصوص العلم والدين، مما يدل على رصانته المنهجية ومكانته بين أقرانه من العلماء والصالحين[1]، وقد كان حضوره العلمي يتجاوز المجالس التقليدية ليصل صداه إلى الذاكرة الشعبية، حيث خلدت شمائله في الأهازيج والقصائد ومن أشهرها ما قيل فيه شهير الخير، وافر الخصال[2].

7/ **سيدي بلعيد**: من أعلام بونة في القرن الثامن هجري، لا نملك حوله مصادر مدونة كل ما لدينا هو عبارة عن مرويات شفوية وأهازيج شعبية تخلد كراماته الصوفية في عنابة كما نعلم أن ضريحه متواجد بمنطقة حي سيدي بلعيد عنابة من القصائد التي تذكر تلك الأهزوجة المنتشرة في مجال ضريحه الاجتماعي التي تخاطب زوار ضريحه:" بركاته للآن غدت كثيرة وللعيان قد بدت يقصده من فيه ريح الجن يبرأ سريعا مع حسن الظن"[3]

8/سيدي حميدة بن سيدي العيد: هو أحد الأعلام الروحيين الذين حازوا مكانة معتبرة ضمن المتن الديني والاجتماعي لطريقة القادرية في الشرق الجزائري خلال القرن التاسع هجري/ الخامس عشر للميلاد، فقد نشأ سيدي حميدة في كنف أسرة صوفية عريقة عرف عنها الورع والعلم والصلاح والإمامة، والدته لاله مره من النساء المعروفات بالتقوى والانضباط الديني، امتاز سيدي حميدة بالتقوى والزهد وكان من المريدين الأوفياء للطريقة القادرية، بل ومن الداعين إلى مبادئها في السلوك والتربية الروحية فتعلق به المريدون وشاع صيته بين القبائل المجاورة وقد ألصقت به الذاكرة الشعبية

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص111.

[2]-سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص12.

[3]-سعيد شريدي، مرجع نفسه، ص12.

العديد من الكرامات والخوارق التي نسجت حولها الروايات والأساطير، مما أكسبه لقب "بوغضبة" وهو لقب يوحي بقوة الحضور والهيبة الروحية، التي كان يتمتع بها بين العامة والخاصة على حد سواء، توفي سيدي حميدة سنة 867هـ ودفن بضريحه الكائن منطقة "الدرعان" إحدى بلديات ولاية الطارف، والذي صار منذ ذلك الحين مزارا يقصده المريدون وأهالي المنطقة طلبا للبركة والتوسل خاصة خلال المناسبات الدينية والموسمية وقد حفظت الذاكرة البونية الشعبية ذكر هذا الولي عبر المدائح الزجلية، التي ما تزال تؤدى إلى يومنا هذا، ومن أبرزها تلك القطعة التي تمجد مقامه وتصف حضرته الروحية:

سيد أسيادي مول الحرمة زيار وراهم بالعرمة
هذاك مصيبح في الظلمة يا زرّاد عرب الوتبة
سيد أسيادي سرُّه قاوي بولمشايخ البدر الضاوي
وكلامه يجرح ويداوي يا زراد عرب الوثبة[1].

8/**سيدي الدهان:** يعد من العلماء والصالحين في بونة الذين جمعوا بين الفقه والطب والفلك، وقد عرف في الأوساط العلمية والدينية في بلاد المغرب خلال القرن التاسع هجري، برجاحة عقله وفضله ذكره الرحالة والعالم الأندلسي الشهير أبو الحسن القلصادي(ت891هـ) في رحلته المعرفة برحلة القلصادي، فخصه بعبارة تبجيل واحترام، فقال«الشيخ الموقر الملحوظ الطيب» سيدي أبو عبد الله محمد الدهان رحمه الله وهو توصيف يعكس المنزلة العلمية والروحية التي كان يتمتع بها الشيخ بين أهل عصره.

لقد تلقى سيدي الدهان تعليمه على يد كبار العلماء ومنهم العلامة الإمام محمد بن عرفة الورغمي(ت803هـ) وقد لازمه وأخذ عنه كما شهد له القلصادي أنه كان صاحب معرفة دقيقة في

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص125.

علوم الطب حيث قال: "قرأن عليه أرجوزة ابن سينا في الأسطر لاب"، توفي سيدي الدهان في أواخر شهر جمادى الآخرة من سنة 853هـ مخلفا أثرا طيبا فينت عرفه وتتلمذ عليه[1].

9/ **سيدي خليف الويشاوي البوني**: يعد سيدي خليف البوني من أبرز الشخصيات العلمية والدينية التي أنجبتها مدينة بونة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين[2].تميز هذا العالم الموسوعي بمكانته الفكرية والأدبية المرموقة فقد كان أديبا بارعا وعالما مهابا وفقيها مالكيا من الطراز الرفيع يُقارن بكبار علماء عصره أمثال سيدي أبي مروان الشريف وأبي عبد الله محمد الهواري.

عرف سيدي خليف البوني بنبوغه في علوم الحديث، حيث كان راويا معتمدا ومتمكنا من رواياته ودرايته كما اشتغل بالتأليف في هذا المجال فخلف عددا من الرسائل والكتابات التي تندرج ضمن الشروح والمختصرات عاكسة عمق تكوينه العلمي واهتمامه بخدمة النصوص الشرعية. إلى جانب عمله العلمي تولى سيدي خليف مهام القضاء في بونة حيث تميز بنزاهته وحكمته، وهو ما أكسبه لقب أبي "المدافع"، وهو لقب يعكس دوره في الدفاع عن القيم الشرعية والعدل الاجتماعي من موقعه القضائي والعلمي، ولم يكن اشتغاله بالفقه والحديث معزولا عن محيطه بل كان مندمجا في الحياة الثقافية والدينية للمدينة مؤثرا في نخبها ومتواصلا مع عامة الناس. غير أن مسيرة هذا العالم لم تخلُ من المحن فقد اضظر إلى مغادرة مدينته مرغما خلال الإجتياح الإسباني لبونة في عهد الملك فيليب الثالث وهي حقبة اتسمت بالاضطراب السياسي والإستعمار العسكري الذي استهدف المراكز الحضارية الإسلامية في المغرب الأوسط[3].

كما يقدم أحمد بن قاسم البوني في سياق توثيقه للهجمات الأجنبية على إقليم عنابة معطيات تاريخية ذات قيمة كبيرة تتصل بالغزو المسيحي للمنطقة في معرض رده على سؤال افتراضي حول عدد مرات

[1]-أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، ص117.
[2]-سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص12.
[3]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص109.

هجوم النصارى على "بلد العناب «يذكر البوني أربع غزوات رئيسية موثقة زمنيا ومرتبطة بأعلام صوفية بارزين شهدوا تلك الأحداث أو نقلت عنهم روايات بشأنها[1]، الغزوة الأولى: كانت بحسب البوني قريبة من زمن الشيخ الهواري، ما يدل على وقوعها في فترة مبكرة من القرن التاسع هجري، ويُحتمل أن تكون بين العقدين الرابع والخامس منه، الثانية حدثت خلال حياة العارف بالله سيدي ابن عبد الجليل، مما يشير إلى استمرارية التهديد المسيحي للمنطقة على مدى زمني متقارب[2].أما الغزوة الثالثة وقعت عام 982هـ/ 1574م، وحضرها والد جد البوني، سيدي أبو العيد برفقة شيخه سيدي خليف بن الشيخ الأكبر سيدي عيسى الويشاوي، وهو من أقطاب التصوف في المنطقة، وقد اضطر هدان الأخيران إلى الهجرة نحو قسنطينة التي كانت آنذاك ملاذا آمنا ومن الملاحظ أن القوات النصرانية مكثت في عنابة ثلاثة أعوام قبل أن تنسحب لتظل المدينة بعد ذلك مهجورة سبع سنوات، وهو ما يعكس الأثر العميق لهذا الغزو على البنية الاجتماعية والعمرانية للمدينة[3].أما الغزوة الرابعة فكانت سنة 1016هـ/1607م، خلال إحدى شهري جمادى وشهدها القطب الصوفي سيدي محمد ساسي، الجد المباشر للبوني ويختم المؤلف هذا السرد بالإشارة إلى أنه أدرك ممن حضرها مما يدل على تداوله المباشر للشهادات الشفوية، ويمنح للنص طابعا توثيقيا يعتمد على الذاكرة الجماعية الحية، إن ما يميز هذا النص إلى جانب قيمته التوثيقية، هو الربط العضوي بين الأحداث السياسية والعسكرية من جهة، والحضور الصوفي الفاعل من جهة أخرى حيث يُظهر أعلام التصوف لا كمتأملين منعزلين، بل كشهود على الأحداث ومشاركين فيها بالهجرة أو المقاومة ما يعكس الدور المجتمعي للمؤسسة الصوفية في فترات التهديد الخارجي[4].

10/سيدي علي الفضلون: هو عالم صوفي ومؤرخ من أعلام بونة، يُعد سيدي أبو الحسن علي المعروف بفضلون البوني من أبرز أعلام بونة في أواخر القرن 9هـ وبداية القرن العاشر هجري، إلى

[1]-البوني، مصدر نفسه، ص109.

[2]-البوني، التعريف ببونة، مصدر سابق، ص76.

[3]-البوني، مصدر نفسه، ص76و77.

[4]-البوني، التعريف ببونة، مصدر سابق، ص77.

أواخر القرن 15 وبداية القرن 16م، وهو من أصول أندلسية، وُلد ببونة حيث نشأ وتعلم وتخرج من مدارسها العلمية التقليدية قبل أن ينتقل إلى مراكز علمية كبرى كقسنطينة وبجاية، اللتين عرفتا في تلك الفترة بازدهار العلوم العقلية والنقلية. تميز فضلون البوني بتضلعه في الفلسفة والعلوم الدينية وتتلمذ على يده عدد من العلماء الذين نبغوا في ميادين متعددة، وكان لهم تأثيرا واضح في الحياة الثقافية والعلمية للمنطقة، وقد عاد لاحقا إلى مسقط رأسه ليستقر نهائيا فيها حيث شكل نواة علمية ذات إشعاع روحي وثقافي بارز، ضمت مجموعة من التلاميذ والعلماء الذين ساروا على نهجه وساهموا في ترسيخ مكانة بونة كحاضرة علمية وصوفية. ترك فضلون البوني مجموعة من المؤلفات من بينها رسائل وشروح ومختصرات إلا أن أبرزها كتابه الموسوم ب "الُكلل والحُلل"، والذي يعد من أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ لمدينة بونة وعلمائها وأقطابها وصالحيها وأعيانها، ممن جمعوا بين المؤهلات العلمية والخصال الأدبية وقد عالج فيه بأسلوب نقدي رصين ظاهرة التطفل على العلم والتصدر للإمامة دون أهلية معرفية، مقارنا بين العلماء الحقيقين وأولئك الذين اقتحموا مجال العلم دون مؤهلات قائلا عنهم إنهم" دخلوا سوق الإمامة من غير عمامة"[1]وقد أشار إلى هذا العمل القيم المؤرخ أحمد بن قاسم البوني في معرض حديثه عن أعلام بونة، حيث ترجم لوالده عبد المالك مروان بن محمد البوني وذكر فضلون البوني قائلا وممن عرف به أيضا بلدينا، العالم الفاضل المؤرخ الكامل سيدي أبو الحسن عرف فضلون البوني رحمه الله تعالى في كتابه الكلل والحلل[2]، يقع ضريح سيدي علي الفضلون اليوم في بلدية سرايدي التابعة لولاية عنابة وسط منطقة جبلية وعرة غير بعيد عن مقامي سيدي بن عثمان وسيدي بن منصور، وقد حُفظت مكانته الروحية في الذاكرة الشعبية المحلية من خلال مجموعة من المدائح التي تغنى إلى اليوم ضمن ما يعرف بسلسة العنابي ولا سيما في أوساط الفرق النسوية حيث تتناقل سرديات كرامية تتصل بمقامه من بينها قصيدة "مولى الريحانة"نبيغك يا شيخي، التي تصف مقامه بأنه موئل توحدة المتعبدين ومستقر للحيوانات الوحشية والغزلان في إشارة رمزية إلى جاذبيته الروحية

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص81.

[2]-البوني، التعريف ببونة، مصدر سابق، ص51.

وسكينته المباركة، وبهذا يعتبر سيدي علي الفضلون البوني أحد أعلام التصوف والعلم في تاريخ الجزائر جامعا بين عمق المعرفة ونفاذ البصيرة الروحية، والتأثير المستدام في الذاكرة الدينية والثقافية المحلية[1].

11/سيدي لخضر وسيدي فرج: من أعلام بونة وصلحائها خلال القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد لا نملك أي مصادر مدونة حولهم كل ما نملك مديح شعبي ذكره البوني في كتابه الذرة المصونة:

سيدي لخضر إذا ضاق الحال عندي تحضر
سيدي فرج واللّيّ ظلمني من دارو ابِهج[2]

12/ **سيدي بونخلة:** من صلحاء البلدة المشهورين بكراماتهم المتعددة، عاش سيدي بونخلة خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر للميلاد، وهي فترة شهدت تحولات سياسية واجتماعية كبرى في بلاد المغرب وفيها كان المرابطين من المتصوفة دور محوري في الحفاظ على التوازن الروحي في ظل اضطرابات تلك المرحلة، اشتهر سيدي بونخلة بصفته أحد كبار أولياء البلدة، إذ تذكره المصادر الشفوية والروحية بكرامات متعددة نسبت إليه. ويقع ضريحه في جبانة بوحديد والتي تحمل اسمه وقد لقب سيدي "بونخلة" ب "شيخ أولاد منادة" وهو لقب مزدوج ويشير إلى موقعه التربوي والروحي ضمن قبيلة أو عشيرة أولاد منادة[3]، ومن الأشعار المغناة في مقامه:

يا سيدي بوحديد في الجبل العالي
نغرة يا بوحديد ما يشفَّك حالي
يا سيدي بوحديد دمعتي همالة
وقضيلي حاجتي ماك سيد الرجّالة
يا سيدي بوحديد شيخ لا من قدو

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص81و82.
[2]-البوني، الدرة المصونة، مصدر نفسه، ص121.
[3]- البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص147.

أصيودة(أسود) مكحثرين عادة بوه أو جدو[1]

إن سيرة سيدي بونخلة رغم محدودية المصادر المكتوبة بشأنها، تُشكل نموذجا حيا عن الولاية الصوفية المحلية التي اندمجت في نسيج المجتمع حيث مثلت الذاكرة الشفوية والمزار الجغرافي عاملين أساسيين في تخليد هذه الشخصية.

13/سيدي بوزعرورة: من أعلام القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر للميلاد يقع ضريحه بالجبانة التي على مقربة من "ثانوية بوزعرورة" لا نملك حوله أي مصادر مدونة إلا أن الذاكرة الشعبية خلدته بمجموعة من الأبيات:

سيدي بوزعرورة أحضر الخلايق راهي محصورة[2]

14/طراد الديابي: يعد طراد الديابي من الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ الصوفي خلال القرن التاسع هجري خصوصا من المناطق الواقعة بين خمير والسبع، وما بين عنابة وباجة، وقد اكتسبت شهرة واسعة في الذاكرة الشعبية لمدينة عنابة، باعتباره أحد الصلحاء وأهل الولاية، اذ تنسب اليه كرامات ومواقف روحانية رسخت حضوره في المخيال الجمعي المحلي، كما يعد الجد الأعلى للعالم الشهير أحد بن قاسم البوني، غير أن سيدي طراد الديابي في المصادر الصوفية الرسمية، وخصوصا في كتابات الشيخ "احمد الفكون التلمساني" جاءت مخالفة تماما لما نقلته الروايات الشعبية، فقد ادرجهم الفكون ضمن من وصفهم "بالمبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المرضية " و أورد في ترجمته كلاما قاسيا حيث قال لصا من لصوص، وكان كبير المتلصصة، ثم انه زعم انه تاب، وإلى الله أناب، فصار من أهل الصفة والولاية وهو باعتبار الشرع من أهل الطرد والبعد عن الله غواية كان لص الظاهر فصار لص الباطن رمحه لم يزل بيده للحرية والفساد وسبحته هي ما ذبح بها العباد،

[1]-سعيد شريدي الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص12.

[2]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص147.

ويضلهم بها عن طريق الرشاد ويقطهم عن باب الملك الجواد[1]، تظهر هذه الشهادة موقفا نقديا حادا من طراد الديابي، وهو موقف يعكس النظرة السلفية المتشددة لبعض شيوخ الفقه في تلك المرحلة اتجاه بعض التيارات الصوفية التي لم تكن منضبطة بمنظورهم إلى مفاهيم "السنة والجماعة " ومن المرجح أن، يكون الخلاف ما روته الذاكرة الجماعية وبين ما دونه الفكون راجعا إلى تباين المرجعيات المعرفية فبينما تستند الذاكرة الشعبية إلى أثر الرجل في محيطه الاجتماعي والروحي ينطلق الفكون من معيار فقهي صارم يرفض كل ما يشتبه في خروجه عن أصول الشريعة. يستفاد من هذا النص الذي أورده الشيخ الفكون في ترجمته لشيخ طراد الديابي صورة أكثر تفصيلا لهذا الرجل لكنها تظل محملة برؤية نقدية صارمة لا تخلو من موقف عقدي حاد اتجاه التصوف الشعبي غير المنضبط بضوابط الفقه الرسمي، فقد أشار إلى ان سيدي طراد خاض حروبا داخلية مع بعض فروع قبيلته لرفضهم الخضوع لسلطته وشن عليهم غارات استولى فيها على أموالهم ثم استحلها باعتبارها " متمولات وبضاعة " مشروعة له، متذرعا بمرتبته الروحية المزعومة ذكر انه كان يصعد ربوة وينادي: من يتوب؟ من يتوب؟ من يأخذ العهد؟ في محاولته لجذب الأتباع وإبراز نفسه كقطب من أقطاب الولاية، وكمن بلغ في القرن مقاما لا يحد لغاية أو يعرف بنهاية[2]، وفي رأي الفكون، فإن هذه الأفعال تمثل انحرافا من التصوف السني وتعبير عن تغلغل التصوف الشعبي في البنية الاجتماعية إلى حد جعله لنفود والسطوة لا للتقوى والتهذيب، وقد انتقد الفكون بشدة طريقة سيدي الطراد في بناء خطاب صوفي يعتمد على فصاحة لغوية مستمدة من تقاليد القول الشعبي من مدائح وغناء في الولائم يحولها ويجعلها سلما للنفود الروحي والاجتماعي ووصف أتباعه ب الأخذين عنه والشاربين منه الذين بالغوا في تقديره وجعلوا كلماته مفتاح باب الوصول ونهاية بلوغ المأمول في حين لم ير فيه الفكون سوى "فضول من رجل جحود مطرود مخدوع"، وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه المرويات تمثل وجهة نظر واحدة وهي تنتمي إلى سياق صراع فكري وعقدي بين تيارين: تيار التصوف المنفتح على الذاكرة الشعبية، وتيار

[1]-عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في الكشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو قاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987/1408، ص161.

[2]-الفكون، المصدر نفسه، ص162.

الفقهاء المحافظين الذين يرون في كثير من الممارسات الصوفية تجاوزًا لحدود الشريعة ومن ثم فإن صورة سيدي طراد الديابي تتأرجح بين الولاية كما تحتفظ بها الذاكرة المحلية، بين الطرد والجناية كما عبر عنها الفكون ما يجعل من شخصيته نموذجا معبرا عن جدلية الدين والمجتمع في مغرب القرن التاسع هجري[1]. تضيف الرواية التي أوردا الشيخ أحمد الفكون عن سيدي الطراد بعد آخر في تحليل هذا الرجل في النسيج الديني والاجتماعي لمدينة عنابة خلال النصف الثاني من القرن التاسع هجري، فقد أشار إلى أن طراد لم يكتف بإعلان توبته وممارسته للطرق الصوفية بطريقته الخاصة بل اتسعت دائرته لتشمل نخبة المدينة حتى أصبح أهل عنابة أو جلهم، من أتباعه وتلاميذه لا سيما كبارهم ورؤسائهم، إلى درجة كادوا فيها أن يتقطعوا بعصمته ويجعلوه في مرتبة فوق النقد والشك[2]

14/سيدي محمد الساسي البوني: يعد سيدي محمد الساسي بن إبراهيم بن محمد بن سيدي بلعيد بن ضيف الله من كبار أعلام التصوف والعلم في بونة حلال القرن 11هـ/17م وهو الجد الأعلى لشيخ احمد بن قاسم البوني: ويروي حفيده عنه في أحد النصوص الصوفية قائلا "ورابعهم جدنا سيدي محمد الساسي فإنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نوما: أنت القطب" في إشارة واضحة بلوغه مقام القطبانية، وهو اعلى المقامات في السلسلة الصوفية، وقد لبث فيه أربعين سنة، مما يعكس سعة إشعاعه الروحي وعلو منزلته في الوعي الديني الشعبي والخواص ولم تقتصر مكانة سيدي محمد الساسي على المجال الروحي فحسب، بل تجاوزته إلى ميادين التأثير السياسي والاجتماعي خاصة في علاقته بالسلطة العثمانية التي أبدت له الاحترام والتقدير ولما كان له من خطوة وشأن[3]كان سيدي محمد ساسي من أئمة المعرفة الدينية في عصره اذ تلقى ودرس علوم الشريعة والعقل وامتاز بتعمقه في الفكر الصوفي مما أهله ليكون على حد تعبير الشيخ عبد الكريم الفكون، "مسموع القول عند الخاصة والعامة" أي صاحب سلطة معرفية وأدبية لدى النخبة والطبقات الشعبية على السواء،

[1]-الفكون، مصدر سابق، ص163.

[2]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص153.

[3]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص126.

وتتلمذ على يده عدد من العلماء، كان أبرزهم أحمد بن مصطفى بن الشيخ الإمام محمد بن مصطفى المعروف "بقارة خوجة" مما يدل على امتداد اشعاعه العلمي في أوساط أهل العلم والدراية[1]، وفي سرده الكرامي يربط الموروث الصوفي بين سيدي محمد ساسي وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني اذ يقال أنه نال يقظة روحية من هذا القطب الرباني، وهو ما يندرج ضمن نمط من خوارق العادة يفسره أهل التصوف بكرامة الأولياء، كما تروى عنه أحوال صوفية كثيرة، منها "جلوسه على بساط القرن" وشربه من "كأس الصفوة" وهما من التعابير المجازية التي تعبر عن بلوغه مراتب عليا من الصفاء توفي سنة 1059هـ/1649م.[2]

15/**سيدي إبراهيم بن التومي المرداسي:** من أبرز أعلام مدينة بونة خلال القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر للميلاد، علما وصلاحا وجهادا ينتمي نسبه إلى قبيلة مرداس، وهي أحد فروع بني رياح القبائل الهلالية التي دخلت إفريقية في سياق سياسي وعسكري معقد إثر إرسال الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لهذه القبائل للإنتقام من الصنهاجيين بعد تمردهم وإعلان استقلالهم عن السلطة الفاطمية وقد ترك هذا الأصل القبلي بصمته في " لقبه المرداسي" كان سيدي إبراهيم المرداسي شيخا ورعا متبحرا في الفقه، ومربيا صوفيا اتصف بالتقوى والزهد، عُرف بدوره الحيوي في الدفاع عن مدينة بونة خلال التهديدات الإسبانية حيث ساهم إلى جانب مجموعة من رجالات البلدة منهم القرمي، الصيد، الفوغالي، والديواني، في مقاومة هذه الهجومات، ترك أثرا بالغا في تلاميذه وعلى رأسهم أحمد بن قاسم البوني الذي عده "قطب المدينة" قائلا «وخامسهم شيخنا سيدي إبراهيم بن التومي رحمه الله تعالى فإنه ما مات حتى صار قطب الوجود وبسبب ذلك يطول جلبه». وهو تعبير يدل على عمق مرتبته الروحية في المخيال الصوفي المحلي[3]، توفي إبراهيم ليلة الإثنين التاسع من رمضان سنة 1087هـ وقد حضي قبره بعناية خاصة من طرف باي بايلك الشرق، أحمد بن علي القلي،

[1]–حسين خوجة، ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ص118.

[2]– سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص12.

[3]–البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص182.

الذي أمر ببناء قبة على ضريحه عند قنطرة وادي "البجيمة" تكريما لفضله ومكانته[1]. وخلدت هذه المبادرة أبيات شعرية تخليدا للحدث:

سمي خليل الله هذا مقامه به بونة أضحت تحلى وتحمدُ
لئن ساد تومي أبوه فجده فمرداس الجد بذا القطب سيدُ
على طين طين وحسبك قطبه بونة أمن كل يوم مجدد
فقلت لبانيه ابن سطا مؤرخا: سعدت ببر يا أمين محمد[2].

16/ **سيدي عيسى الويشاوي:** يُعد سيدي عيسى الويشاوي من أبرز الشخصيات الدينية والعلمية المنحدرة من أسرة عميقة علما وحسبا ونسبا عرفت بانتسابها للعلم والتقوى وبروز أبنائها في ميادين الإقراء والإفتاء حتى غدت من البيوتات العلمية المؤثرة في المجال الديني وقد اكتسب أفراد هذه الأسرة موقعا راسخافي منظومة المشورة والنفوذ الروحي بامتداد جغرافي واسع يشمل شرقا مشارف الكاف وباجة وغربا تخوم قسنطينة وضواحيها، وقد نسبت لسيدي عيسى مجموعة من الخوارق والكرامات، دفن بجبل ويشاوة على مشارف بلدة عنابة غدا ضريحه مقصدا للزوار ومحل استغاثة في الملمات وهو ما يشير إلى مركزية هذه الشخصيات في الحياة الدينية والاجتماعية[3]، أما في المجال الكرامي فتتصل سردية سيدي عيسى الويشاوي، أحد أقطاب الصوفية في المنطقة، والذي ينظر إليه بوصفه من نوره الأولياء ضاوي"[4]وهي عبارة تشير إلى انتقال البركة والنور بين الأولياء في سلسلة التقديس الشعبي الرمزي.

17/ سيدي الدندان: يعد سيدي الدندان من أبرز الشخصيات الدينية والعلمية التي عرفت في منطقة بونة وما جاورها خلال القرن التاسع هجري وقد تميز بشخصيته الوقورة وعمله الغزير حتى أصبح من أعلام الصلاح في تلك المرحلة التاريخية من تاريخ المنطقة، ينتمي سيدي الدندان إلى

[1]-البوني، التعريف ببونة، مصدر سابق، ص89.
[2]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص182.
[3]-الفكون، مصدر سابق، ص183.
[4]-سعيد شريدي، الولاية والمجتمع، المرجع سابق، ص12.

إحدى العائلات التي نزحت من تونس في أعقاب الزحف الهلالي، واستوطنت منطقة طلحة حيث ساهمت في مسار التحولات الاجتماعية والسياسية وكانت لها مواقف مشرفة، تجلت في السعي إلى تهدئة الأوضاع وإخماد الفتن كما اشتهرت بسياستها القائمة على حسن الجوار والتفاهم مع السلطات العثمانية، نشأ سيدي الدندان في بيئة علمية وتربوية حيث تتلمذ أولا على يد والده ثم تلقى تعليمه على مجموعة من مشايخ المنطقة، ما مكنه من حفظ القرآن الكريم مند سن مبكرة والتعمق في العلوم النقلية من فقه وحديث وتفسير وقد ارتبطت سيرته بالتصوف السني المعتدل حيث نقلت عنه بعض الشطحات والكرامات التي تناقلتها الذاكرة الشعبية، ما زاد في مكانته الروحية والاجتماعية في أعين العامة والخاصة[1].

توفي الشيخ سيدي الدندان في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 1091هـ وقد خلفت وفاته أثرا بالغا في أوساط العلماء والسكان الذين كانوا يكنون له التقدير لما قدمه من جهود في خدمة المنطقة وأهلها اعترافا بمكانته، أقيم له في بلدية البسباس ولاية الطارف، بأمر من أبي محمد حسين باي، وتم تنفيذ البناء على يد الحاج محمد بن محمود في جمادى الأولى سنة 1158هـ، حيث شيدت عليه قبة تحولت لاحقا إلى مزار يقصده الزوار وقد خلدت الذاكرة الشعبية سيدي الدندان من خلال جملة من الأمداح المغناة التي تصف مقامه وكراماته من أشهرها:

"مالك طولتي الغيبة هاي بابا

نارك شاعله والهيبه بوشيبه

أنغر يا شيخ الدندان يا شانع عند العُربان

هنيني[2]

تعكس هذه الأبيات مكانته في الوجدان الشعبي وتعبر عن عمق الاحترام الذي حضي به سكان المنطقة.

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص156.

[2]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص156.

المبحث الثاني: السرديات الكرامية لأولياء عنابة:

***أبي مروان الشريف:** تتواتر في المرويات البونية خاصة تلك الواردة في ألفية التعريف ببونة قصص كرامات منسوبة لضريح ابي مروان الشريف تنبض بعنصر الشفاعة والتدخل الغيبي لفائدة من يلوذون به في حالات الشدة والضيق ومن أشهر تلك الروايات قصة المرأة الفقيرة التي باغتها المغاض قرب الضريح في جو قارس البرودة، فلم تجد معينا أو مأوى فوضعت حملها هناك فقد دفعها اليأس والخوف إلى ان ترمي بوليدها نحو البحر من علو شاهق لكن شفاعة الولي حالت دون هلاكه فنجى الولد بعناية ربانية نسبت إلى كرامة سيدي ابي مروان وقد جاءت في منظومة الألفية ما يلي:

وذاك أن امرأة فقيرة كانت لدى ضريحه في حيرة
ولدت هناك والوقت شديد بردا وقوتها رأيها غير سديد
فألقت الولد نحو البحر يا لها قد قطعت في النحر
من موضع في غاية العلو كأنه وقع من دنو
وجسمه في غاية التمام وذا كرامة الإمام[1]

هكذا أصبح ضريح ابي مروان الشريف أكثر من مجرد مدفن لفقيه مالكي بل تحول إلى رمز للولاية وموطن للكرامة الصوفية في بونة تتناقل حوله الألسن والحكايات ويشد إليه الرحال في طلب البركة والشفاعة، ويشر البوني إلى استجابة الدعاء عند قبر ابي مروان وهو يلمح إلى ان المرأة استجاب الله لدعائها وبدد حيرتها لما استجارة تصريح الولي، واستجابة والدعاء من صفات الأولياء في علم المناقب وذلك مقصده في قصيدة أخرى:

مناقب الشيخ لا تحصى وقد وردت في الكتب مسطورة
وقد فاز ذاكره
من يستغيث به جاء الشفاء له
من كل ناحية من ذا يجحره
الله أكرمه نعمه الله عظمه والخير يغمره

[1]-البوني، التعريف ببونة، مصدر سابق، ص55.

طوبى لخادمه بشرى لقاصده يوم القيامة في ظل سيحشره[1]

–سردية محمد الهواري: يعد محمد الهواري من كبار الأولياء الذين خلدهم الوجدان الجمعي في مدينة بونة والدين ارتبطت بهم سرديات كرامية أسهمت في ترسيخ حضورهم وقد وردت إحدى هذه السرديات لأحمد البوني في مؤلفه التعريف ببونة افريقية، حيث نقل حادثة ذات طابع إعجازي تحمل أبعاد كرامية لافتة. تفيد الرواية أن جماعة من النصارى أبصروا ليلا عند قبر سيدي الهواري أضواء تشبه المصابيح، فظنوا خطأ أن أحد المسلمين قد بات في روضته حملهم الظن على التوجه نحو المكان لأخذه أو القبض عليه، غير أن الرواية تشير إلى أن هؤلاء النصارى لما اقتربوا من الروضة أصابهم اضطراب وانكسار غير مفهوم، هذه الحادثة تندرج ضمن ما يعرف في التراث الصوفي والكراماتِ بـ "حماية الأولياء لحرمتهم بعد الموت"، وتؤكد هذه السردية من خلال تأطيرها داخل كتاب تاريخي محلي مثل التعريف ببونة افريقية على مكانة سيدي الهواري داخل نسق الولاية المحلية[2]

–سيدي يعيش: يعد سيدي يعيش من أولياء الله الصالحين الذين ترسخت مكانتهم في الذاكرة الدينية لمدينة عنابة حيث يعتقد في كرامته، وتشد الرحال إلى ضريحه عند الحاجة خاصة في أوقات الجفاف، لايزال قبره مقصدا لزوار، طلبا للبركة والتوسل إلى الله بالغيث وقد نسجت حوله الذاكرة الشعبية سرديات مفعمة بالإيمان والرجاء ينسب سعيد دحماني، محقق كتاب الدرة المصونة سيدي يعيش إلى قاضي اشبيلية الشهير علي بن عبد الرحمان بن يعيش ما يذل على جذر علمي ونسبي عريق وقد ارتبط ضريح سيدي يعيش في الوعي الجمعي بمدينة عنابة بوظيفة روحية خاصة تتمثل في الاستمطار اذ يقصده الناس في طقس جماعي تعبدي، للدعاء بنزول المطر وتستجيب السماء كما تعتقد العامة سريعا لهذا الرجاء وقد عبر عن هذا الاعتقاد البوني في بيتين شعريين داعا بين أهل المدينة قال فيها:

بالولي سيدي يعيش في ذكره إلى القلوب ريش ....

[1]–البوني، التعريف ببونة، مصدر سابق، ص59.

[2]–البوني، التعريف ببونة، ص73.

والناس يقصدونه للغيث ويسقون في الحين بغير ريث[1]

يحمل هذا الخطاب الشعري دلالة واضحة على مكانة الولي في الوجدان الشعبي ويعكس صورة الولي المستمطر.

–سيدي عكاشة: يعد سيدي عكاشة من أبرز أولياء جبل الايدوغ بجهة عنابة، وقد ارتبطت به سرديات كرامية تجذرت في الذاكرة المحلية والدينية لسكان المنطقة يقع ضريحه اليوم في بلدية المرسى، من أحواز ولاية عنابة، حيث ما يزال محجا ومزارا لأتباع الطريقة ومريدي الصلاح من عموم الجهة الشرقية، تعد السردية الكرامية الأشهر في مسار سيدي عكاشة تلك التي تتحدث عن مواجهته بمعية ثلاثة من مريديه لجيش من "النصارى الفارين" قدموا عبر البحر على متن "غرابين" وهي تسمية كانت تطلق في أدبيات تلك الحقبة على السفن الأوروبية، وقد وثقها البوني في مؤلفه الدرة المصونة ضمن أبيات شعرية تظهر الروحي والرمزي لهذه الواقعة قال البوني:

وقعت في عصرنا غريبة وهي معونة بغير ريبة

جاء غرابان من النصارى لذلك الوطن ثم صار

يخاتلان أهل ذلك المحل وأكثر الجنود منها نزل

فصادفوا أربعة من الرجال قواهم الله في المجال

فقتلوا جيش كثير العدد منهم وذاك بقليل العدد

كانت على الكفار شر كسرة وانقلبوا بخيبة وحسرة

أربعة قد قتلوا غرابين وبلد غلبت بعشرين[2].

وتعكس هذه الرواية اعتقاد شائعا أنداك بقدرة الأولياء على التدخل الخارق في الملمات، خاصة في الدفاع عن الحوزة الإسلامية من العدوان الخارجي، وهو ما يجعل من سيدي عكاشة نموذج للبطل الروحي الذي ينتصر دائما على أعدائه لا بسلاح المادة، بل بفضل الله وعناية غيبية، ان ضريح

[1]–البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، 110.

[2]–البوني، الدرة المصونة، مصدر نفسه، ص112و113.

سيدي عكاشة القائم إلى اليوم في المرسى، وحضوره المتجدد في الذاكرة الشعبية، يعكس استمرارية هده السرديات الكرامية في تشكيل الهوية الدينية لمجتمع بونة[1]

-أبي العباس أحمد البوني:

هو صاحب كتاب" شمس المعارف "من كبار أعلام التصوف والعلوم الروحية في المغرب الإسلامي عرف بكونه من أبرز المتخصصين في التنجيم والحساب الفلكي، والعلوم الخفية، اشتهر اسمه بفضل كتاب شمس المعارف الكبرى، الذي يعد من أكثر المصنفات إثارة للجدل في التراث الإسلامي رغم اقامته في عنابة لم تطل، إذ قضى معظم حياته متنقلا خاصة في مصر وتونس[2]حيث دفن، فإن البوني ظل حاضرا في الذاكرة المحلية للمدينة من خلال سرديات شعبية تنسب إليه مناقب وكرامات، من أشهرها تلك التي تحول التراب ذهبا، ثم زهده وانصرافه عنه، وتظهر هذه الحكاية الشعبية عمق الاعتقاد في قدرته الخارقة، وهو ما يعكسه تأثيره الباقي في المخيال الجمعي ومن الدلائل في الاعتداد البوني بنفسه وبمرجعيته في هذا المضمار ما ورد في كتاب الدرة المصونة إد يقول:

وبأبي العباس أعنى البوني غياث كل عاجز مغبون..

وفي كفه صار التراب دهبا ومع ذا تركه وذهبا[3]

فهو هنا يقدم نفسه في صورة العرف الكامل، القدر على إدراك أسرار التحويل المادي والروحي، وبهذا المعنى فإن حضور البوني في الذاكرة العنابية لا تقتصر على كونه ابنا لهذه المدينة، بل يتجاوز ذلك ليصبح رمز للعلم الغامض والقدرة الخارقة.

-إبراهيم بن محمد البوني: يعد الفقيه إبراهيم بن إبراهيم بن محمد البوني، عم العارف الشهير قاسم البوني من الأعلام الصوفية الذين خلدهم التراث الروحي المغاربي، رغم قصر حياته وانعدام عقبه، فقد عرف بعلو كعبه في العلوم الشرعية وتنسب إليه مجموعة من المؤلفات ذات القيمة غير أن وفاته المبكرة

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص112و113.

[2]-عادل نويهض، مرجع سابق، ص48.

[3]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص118-120.

لم تُقصه من الذاكرة الجماعية للمتصوفة وأتباعهم بل ساهمت في تشكيل سردية كرامية نسجت حول وفاته معليه من مكانته في سلم الأولياء[1]تحفظ لنا المصادر الصوفية ومن أبرزها الذرة المصونة للبوني نصا شعريا يوثق لهذه الكرامة ويُقدم مشهدا رؤيويا يربط بين الولي وفضاء المدينة النبوية، رمز الحضرة المحمدية والاصطفاء الروحي، ففي ليلة وفاته، يُروى أن الولي إبراهيم رأى في منامه بشارة تنقله الملائكة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، في مشهد تتماهى فيه الرؤيا بالكرامة وتتعالى فيه الروح على الفناء، يقول البوني في هذا السياق :

وقبل موته رأى بشارة في نومه أكدت أشعاره
عن ربنا أخبره بذا ملك طوبى له من المعاطب سلك
وفيه كشف للعيوب يجلى مات صبيا ياله من نجل[2]

تكشف هذه الأبيات عن بنية سردية متكاملة، يتداخل فيها الحلم بالواقع والغيب بالحاضر والكرامة بالمال الأخروي، فرغم أنه مات صبيا كما يرد في البيت الأخير فإن ذكره لم يُمح بل عُزز بمقام القداسة.

–سيدي بلعيد: يعد سيدي بلعيد من أولياء بونة المشهورين وهو أحد صلحاء القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي، وتجمع الذاكرة على علو مقامه الروحي وكثرة مناقبه الكرامية، يقع ضريحه في حي سيدي بلعيد بعنابة[3]. تتعلق أبرز سرديات كراماته بقدرته العجيبة على شفاء المرضى لا سيما أولئك الذين يعانون من أمراض يعتقد أن أصلها روحي المرتبط بالمس، إذ يروى أنه كان يبرأ المصابين بالجن سريعا، بل ويعجل بإذن الله بهلاك الجني إدا تطاول، كما تتحدث السردية الشعبية عن "ريح الجن" وهو تعبير يشير إلى حالات الصرع أو الاختلال النفسي، وقد خلفت هذه الروايات أثرا دائما في المخيال الجماعي الذي يرى في هذا الولي ملاذا للذين يعانون من هذه الحالات ومما يعزز من رمزية

[1]–البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص132.
[2]–البوني، المصدر السابق، ص134.
[3]–شريدي سعيد، الولاية والمجتمع، مرجع سابق، ص12.

سيدي بلعيد بالتصوف المحلي وهو ما أورده الشيخ أحمد بن قاسم البوني في كتابه الذرة المصونة حيث يصفه بقوله:

بجدنا تلميذ بلعيد أيامه كموسم وعيد
قناته خدم بل جر الرحى في داره وليس ذا بريحا
وبركاته إلى الآن غدت كثيرا وللعيان قد بردت
يقصده من فيه ريح الجني برأ سريعا حسن الظن.

أو أنه يعجل بالهلاك بادنه ربه خالق الأملاك[1]، يتبين من هذه الأبيات أن سيدي بلعيد لم يكن وليا فحسب بل اتخذه البوني مثالا للبركة الدائمة لأن سرديته الكرامية تجسد نمطا متكررا في التدين الشعبي المغاربي حيث تربط الولاية بالقدرة على شفاء النفس والجسد ويُنظر إلى الولي كواسطة بين الخُلق والخالق في قضاء الحاجات.

-**طراد الديابي**:يعد سيدي طراد الديابي من الشخصيات البارزة التي طبعت في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، في المجال المغاربي لا سيما في نواحي خمير والسبعة، وهي مناطق تمتد بين جبل العناب وباجة التونسية وقد حُفظت له مكانة معبرة في الذاكرة الجماعية والمحلية، لا سيما لدى سكان أولاد نصر، حيث بقي ضريحه إلى اليوم موضوع زيارة وتبجيل من قبل العامة، انفردت شخصية طراد الديابي بسردية كرامية ذات طابع خاص، تركزت أساسا حول رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وهي من أنظر الكرامات وأشدها وقعا في المخيال الديني الشعبي، لما تحمله من دلالات على القرب الروحي المباشر من النبوة وقد ورد في ذكر هذه الكرامة في كتاب الذرة المصونة حيث جاء فيه" كان يرى رسولنا في اليقظة، وربنا من كل سوء حفظه". بل نسب إلى النبي أنه قال له" لا ينبذوا، إلا حدون عنك عني أخدوا"[2]، في محاولة لمنح هذا الولي شرعية ذات صبغة بنوية، وقد تكررت هذه الرواية على اسان طراد نفسه الذي واظب على إعادة سردها مؤمنا بصحتها ما ساهم في ترسيخها ضمن الثقافة المحلية، حتى أصبحت من علامات التقديس المرتبطة بشخصيته،

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص125.

[2]-البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص153و 154.

غير أن هذه السردية لم تسلم من النقد، إذ تشير بعض المصادر إلى احتمالية أن يكون طراد الديابي قد استغل إيمان العامة بالكرامات ليرسخ لنفسه مكانة روحية استثنائية خصوصا ما وصف بسذاجة الناس أنداك وغياب سلطة دينية مركزية تميز بين الكرامة الحقيقة والدعوى الملفقة[1].

–سيدي عرفة الشابي: يعد سيدي عرفة الشابي من الأولياء المعروفين في المجال الصوفي المغاربي خلال القرن العاشر هجري/ الخامس عشر ميلادي، وقد استقر في القيروان حيث دُفن رغم أن أصوله تعود إلى مدينة بونة ما يجعله أحد صلة الوصل بين الحواضر الصوفية في الشرق الجزائري والوسط التونسي، ومن أبرز ما يميز سيرة هذا الولي ما نُسب إليه من كرامات، لعل أشهرها الكرامة المرتبطة بفترة سجنه والتي خلدت في بعض النصوص المناقبية ومن أبرزها ما ورد في كتاب الذرة المصونة لعبد الله قاسم البوني وقد جاء في هذا النص: «التي سارت بها الركبان وشعشع نورها وأضاء من أفق دار القيروان أن السلطان وقته كان حسبه بنقل واش كاذب فلما سجن وقيد بالحديد كان في كل وقت من أوقات الصلاة يشير إلى الحديد فيسقط من رجليه فيقوم ثم يصلي ويعود إليه الحديد بعد فراغه من الصلاة ... تعكس هذه الرواية صورة الولي الذي لا تعيقه القيود المادية على أداء واجباته التعبدية، وتؤكد تصوره في المتخيل الصوفي كمخلوق مصطفى يتمتع بكرامة إلهية خارقة وتكتسب هذه السردية بعدها الرمزي من خلال الربط بين الفعل الصوفي (الصلاة) والمعجزة، حيث تصبح العبودية الخالصة سببا في خضوع المادة لمشيئة الولي، تتعمق أبعاد هذه السردية الكرامية في بقية الرواية التي تنقل حوارا دار بين سيدي عرفة وسجين آخر قال له"إذا كان لك مثل هذا المقام عند الله فلأي شيء ترضى ببقائك في السجن" فيجيبه الولي «لا يكون خروجي من السجن إلا في وقت معلوم ولم يحضر الآن"، هذا الجواب يظهر بُعدا آخر من أبعاد الولاية يتمثل في التسليم الكامل للمشيئة الإلهية، وانتظار اللحظة المقدرة دون استعجال"[2]، وتبلغ الكرامة دروتها عندما روي أن السلطان رأى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المنام، يأمره بإطلاق سراح سيدي عرفة قائلا: "عجل بإطلاق عرفة من

[1]–الفكون، مصدر سابق، ص162، انظر البوني، المصدر نفسه، ص153.

[2]–البوني، الدرة المصونة، مصدر سابق، ص157.

السجن مكرما، وإياك من التقصير يكون مغضوبا عليك، فإنه ولي من أولياء الله" فاستجاب السلطان فأخرجه معززا مكرما...[1]

[1]-البوني، الدرة المصونة، مصدر نفسه، ص157.

المبحث الثالث: أضرحة عنابة (كثافة الإنتشار الصوفي):

تشير المعطيات التاريخية إلى أن مدينة بونة (عنابة حاليا) خلال العصر الوسيط كانت من أبرز الحواضر المغاربية التي شهدت كثافة في الإنتشار الصوفي، ويتجلى هذا الحضور في تعدد الأضرحة والمقامات التي تعود لأولياء صالحين وعلماء ربانيين مما يعكس تطورا خاصا للتدين الشعبي المرتبط بالتصوف والزهد داخل نسيج المدينة الديني والإجتماعي ومن بين الأضرحة التي لها حضور صوفي في بونة نذكر منها:

اسم الولي/العالم	الفترة التاريخية	موقع الضريح/مكانه	المصدر/ المرجع
سيدي مروان الشريف	القرن 6 هـ	جامع سيدي مروان (البناية: بو الليث، الشنعة: بومروان(	البوني، *الدرة المصونة*، ص87
أبو عبد الله محمد الهواري	القرن 6 هـ	ربوة رأس المرسى	شريدي، مرجع سابق، ص11
سيدي عبد الرحمان بن يعيش	القرن 6 هـ	/	شريدي، مرجع سابق، ص11
سيدي عكاشة	القرن 7 هـ	المرسى – بلدية شطايبي	شريدي، مرجع سابق، ص11
سيدي بن جامع	القرن 8 هـ	/	البوني، *الدرة المصونة*، ص115
سيدي محمد بن عبد الجليل	القرنان 8 و9 هـ	/	البوني، *الدرة المصونة*، ص109
سيدي علي الخنشاشي	القرن 9 هـ	/	البوني، *الدرة المصونة*، ص1
سيدي بلعيد	القرن 9 هـ	حي سيدي بلعيد – عنابة	شريدي، مرجع سابق، ص12
سيدي حميدة بن سيدي بلعيد	القرن 9 هـ	الدرعان – عنابة	القلصادي، مصدر سابق، ص117
سيدي الدهان	القرن 9 هـ	/	البوني، *الدرة المصونة*، ص124
سيدي خليف الويشاوي	القرنان 9 و10 هـ	مقبرة الأربعين ولياً – قسنطينة	البوني، *الدرة المصونة*، ص181
سيدي علي الفضلون	أواخر 9 – بداية 10 هـ	بلدية سرايدي	شريدي، مرجع سابق، ص12
سيدي بونخلة	القرن 10 هـ	جبانة بوحديد – عنابة	البوني، *الدرة المصونة*، ص121
سيدي لخضر وسيدي فرج	القرن 10 هـ	/	شريدي، مرجع سابق، ص12
يدي طراد الديابي	القرن 11 هـ	أولاد نصر	البوني، *الدرة المصونة*، ص126
يدي محمد الساسي البوني	القرن 11 هـ	/	شريدي، مرجع سابق، ص11

البوني، *الدرة المصونة*، ص123	طريق قسنطينة – عنابة (بناه الباي أحمد(	القرن 11 هـ	هيم بن التومي المرداسي
شريدي، مرجع سابق، ص11	جبل ويشاوة	القرن 11 هـ	عيسى الويشاوي
شريدي، مرجع سابق، ص11	البسباس – الطارف	القرن 11 هـ	سيدي الدندان

يكشف الجدول المعروض عن الكثافة الملفتة للمظاهر الولائية في حاضرة بونة خلال العصر الوسيط، إذ تشير المعطيات إلى حضور صوفي متجذر في النسيج الاجتماعي والديني للمدينة، من خلال تعدد الأضرحة وتنوعها زمنيا ومجاليا.

فمن القرن السادس إلى الحادي عشر الهجري، نلاحظ تتابع شبه مستمر في ظهور شخصيات صوفية وولائية، أغلبها ارتبطت بالزهد والعلم والتقوى، مما يعكس تواصلًا في تقاليد التصوف الشعبي، وتحول المدينة إلى فضاء روحي مفعم بحضور أولياء الله الصالحين. ويمكن ملاحظة أن القرن التاسع الهجري يشكل ذروة هذا الانتشار، إذ يُسجل خلاله أكبر عدد من الأضرحة المذكورة، ما يدل على نضوج التصوف كمنظومة ثقافية ودينية متكاملة آنذاك.

ومن حيث الامتداد الجغرافي، نجد أن هذه الأضرحة لا تقتصر على وسط المدينة فقط، بل تتوزع على ضواحيها وقراها، مثل شطايبي، الدرعان، سرايدي، جبل ويشاوة، البسباس، وغيرها. وهو ما يشير إلى ترسخ الذهنية الصوفية في عمق الريف والحواضر معًا، ويؤكد أن الولاية لم تكن مجرد رموز دينية منعزلة بل جزءًا من النسق اليومي لسكان المنطقة.

كما توضح المعلومات المصاحبة أن بعض الأضرحة نُسبت لأولياء ذوي شهرة علمية مثل سيدي محمد الهواري، في حين اتصلت أخرى برموز زهدية وروحية محلية كالخنشاشي والفضلون والدندان، ما يعكس تعدد مشارب التصوف بين نماذج ربانية، وأخرى شعبية، وثالثة علمية.

كما يعكس الجدول تعددية الشخصيات الصوفية ومواقعها وتواريخها، مما يؤكد على أن عنابة كانت خلال العصر الوسيط مركزًا مهمًا للولاية والتصوف، يتفاعل فيه التدين الشعبي مع النخب الدينية والسلطة السياسية، في نسق متكامل يغذي الهوية الروحية للمدينة.

استنتاج:

لقد أبرز هذا الفصل كيف مثّلت الظاهرة الصوفية في عنابة، خلال العصر الوسيط وبدايات الفترة الحديثة، أحد أهم المرتكزات الروحية والاجتماعية التي ساهمت في نسج علاقة مركبة بين الدين والمجتمع والسلطة. فقد أبان المبحث الأول عن كثافة الحضور الولائي في المدينة، من خلال تتبع سِيَر أبرز الأولياء الذين تحوّلوا إلى محطات مركزية في المشهد الديني المحلي، بما امتلكوه من رصيد روحي ونفوذ اجتماعي.

أما المبحث الثاني، فقد سلّط الضوء على السرديات الكرامية بوصفها أداةً لبناء الذاكرة الصوفية وتمكين الأولياء من مكانة استثنائية في المخيال الشعبي. وبين المبحث الثالث كثافة الانتشار الصوفي الولائي عموديا في عنابة. وقد تبيّن من خلال هذه السرديات كيف تمت صياغة صورة الولي عبر الكرامات والخوارق التي لم تكن مجرد تعبيرات دينية، بل كانت أيضًا وسيلة لتأكيد النفوذ والهيبة، وتبرير المكانة التي احتلها الأولياء في النسيج الاجتماعي والسياسي للمدينة.

الخاتمة

خاتمة:

في ختام دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى النتائج التالية:

– أن الأولياء شكلوا عنصرا مركزيا في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية لمدينة "بونة" بل وكان لهم حضور فعال في بناء الذاكرة الجماعية المحلية من خلال ما نسب إليهم من كرامات وما أحيطت به أضرحتهم من قداسة وما أفرزته العلاقة التفاعلية بينهم وبين المجتمع من أشكال متعددة من التمثل والاعتقاد والممارسة.

–لقد بينت نتائج البحث أن عنابة لم تكن مجرد حاضرة تجارية وعلمية، بل أيضا فضاء روحيا وثقافيا غنيا تميز بكثافة حضور الأولياء والصالحين وانتشار الزوايا والمزارات مما يعكس مكانتها في الخارطة الروحية للغرب الإسلامي، كما أظهرت المصادر المخطوطة خاصة كتاب التعريف ببونة إفريقية للبوني كيف ساهمت السرديات الكرامية في بناء صورة مخصوصة لهؤلاء الأولياء تتجاوز البعد الفردي إلى ما هو جماعي ورمزي.

–كما كشفت الدراسة عن تفاعل واضح بين الموروث الديني والتقاليد الاجتماعية إذ لعبت الزوايا والأضرحة أدوارا متعددة تجاوزت الوظيفة التعبدية إلى أداء أدوار تعليمية وتضامنية خاصة في خدمة الفئات الضعيفة وبرز هذا التداخل في كيفيات تشكل الوعي الجمعي حول الولاية وربطها بالكرامة والشفاعة والبركة ما أسس لنوع من الإسلام الشعبي الذي احتضنته عنابة وسايرت به تحولات العصر الوسيط.

–إن حضور الأولياء في عنابة لم يكن مجرد بعد روحي بل هو تعبير عن توازن اجتماعي وثقافي شكل خصوصية المدينة وأعطى لعنابة طابعا مميزا في سياقها المغاربي والإسلامي الوسيط، مما يجعل دراسة هذا الموضوع مفتاحا لفهم أعمق للتحولات الدينية والاجتماعية في تلك المرحلة.

– أن موضوع الدراسة يعاني بشكل كبير من قلة اهتمام وعزوفا بحثيا، يجعله بحاجة إضافية لمزيد من الدراسة المتأنية والمدعومة بكل المصادر والمناهج الكفيلة بتشريحه

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم

أولا: المصادر:

– ابن الجوزي، تلبيس ابليس، دار ابن خلدون، الإسكندرية.

– ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997.

– ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح محمد الفاسي وآخرون، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

–ابن العباس الفاسي، قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

– أحمد بن أبي عبد الله قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، حققها وشرح حواشيها وعلق عليها الأستاذ محمد لخضر بوبكر والدكتور سعيد دحماني، ط1، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، 2011.

– أحمد بن قاسم البوني، التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تقديم وتعليق سعيد دحماني، دار الهدى، عيم مليلة، جوان، 2001.

–ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 2012.

–ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ترجمة خليل شحادة، زكار سهيل، ط2، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م.

–ابن صعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز.

–ابن مريم الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبعه واعتنى به الشيخ محمد بن ابي شنب، مطبعة الثعالبة، الجزائر، 1908.

–أبو العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989.

-أبو حامد الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديثة، لبنان، بيروت.
-أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع.
-التادلي الصومعي، كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبو يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب، أكادير، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم 6، 1996.
-أحمد أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979.
-أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط01، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
-أحمد بن إبراهيم بن علان، شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ سيدي أبي مدين التلمساني المغربي، تحقيق وتعليق الشيخ أحمد فريد المريدي، دار الأفاق العربية، القاهرة.
-أحمد بن علي البوني، شمس المعارف الكبرى، مؤسسة النور للمطبوعات، ط2، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.
-البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.
-الحكيم الترمذي، ختم الأولياء، تحقيق الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية.
-القشيري، الرسالة القشيرية، تعليق الشيخ القاضي زكرياء بن محمد الأنصاري، دار جوامع الكم، القاهرة.
-صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
-عبد الحق إسماعيل البادسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م.
-عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، مكة المكرمة، 2005.
-عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، 2001.

-عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، وضع حواشيه أبو عبد الرحمن بن صلاح بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

-عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، تحقيق عبد العليم محمد الدرويش، دار الهادي، مكتبة دار الزاهد.

-عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، في كشف حال من ادعى الولاية، تحقيق أبو قاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي.

-عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري(ت465هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق الإيمام عبد الحليم محمود محمد بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

-عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف الى حقائق التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.

-عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1328هجري/1910ميلادي.

-عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، مكتبة العصرية، بيروت، 1422، 2006.

-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة

-كاتب مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.

-لسان الدين بن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق وتعليق وتقديم عبد القادر غطا، دار الفكر العربي.

-محمد العبدري البلنسي، رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، تقديم الدكتور شاكر الفحام، المكتبة الشاملة الذهبية.

-محي الدين ابن العربي، الفتوحات الملكية، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1099.

-الطوسي، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، عبد الباقي سرود، دار الكتب الحديثة، مكتبة المنتدى، بغداد، 1830،1960

ثانيا: المراجع:

-إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993.

-أبو مدين بن عدة، أبو مدين شعيب بن الحسن الغوثي، سياحة روحانية وعلمية، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، العدد07 .

-أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير، فونثانه الشرقية، الجزائر، 1906.

-التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط4، 2003.

-الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر،2004.

-الكعاك عثمان، عنابة قبل الإسلام، مجلة الأصالة، السنة الخامسة، العدد 34،35، 1396هـ/1976م.

-بن رية مليكة، الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ومنهجه في إصلاح التصوف، مجلة الدراسات والأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد01، جانفي 2001، جامعة الجزائر، المجلد13.

-رشيد بورويبة، عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي، مجلة الأصالة، العدد 34،35، 01يوليو 1976.

- رشيد تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط في عهد روجر الثاني 1101-1154م بين أطماع النورمان وضعف القوى الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، مج13، ع1، جانفي 2012.

-روبير برانشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15م، در الغرب الإسلامي، بيروت، 1988

- زاكي مبارك، التصوف الإسلامي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1938.

- زكرياء قرناح، قبائل بني هلال وارتباطهم بظاهرة الحرابة في المغرب الإسلامي (ق7-9هـ/ق13-15م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج 17، ع1، جويلية 2019
-حسين خوجة، ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، مكتبة 2.
-خليلي بختة، كرامات الشيخ محمد بن عمر الهواري من خلال المصادر التاريخية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، عدد خاص، ديسمبر 2013، جامعة وهران، الجزائر.
- سعيد بن مفسر بن مفرح القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني وآرائه الاعتقادية والصوفية، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1418 هجري، 1997 ميلادي.
-سعيد شريدي: الولاية والمجتمع في عنابة خلال الفترة الحديثة، مداخلة ضمن أعمال الملتقى الوطني حول "الحراك الاجتماعي والاقتصادي في مدينة عنابة ومنطقتها خلال الحقبة الحديثة ق20/16م" قسم التاريخ جامعة باجي مختار-عنابة - 03ديسمبر 2023(مداخلة مخطوطة)
-سعيد شريدي، المتصوفة والسلطة العثمانية بالجزائر، مظاهر التوظيف السياسي للفكر الكرامي (قراءة تاريخية أنتربولوجية، مجلة أنتربولوجيا الأديان، 1/18، جانفي 2022.
-شارل أندري جوليان، تاريخ لإفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ترجمة محمد مزالي البشر بن سلامة، تاوالت الثقافية، 2011.
-شرويك محمد الأمين، انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة أفاق فكرية، تخصص تاريخ، جامعة جيلالي ليابس، العدد السادس، 2017.
-صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، لبنان، 2002
-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر مرصد الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ، 1980م.
-عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، ط2، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.
-عبد الستار الراوي، التصوف والباراسايكولوجي، ط1، دار الخلود لتراث القاهرة، 2006م.
-عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، 2002.
-عبد الله حسن زروق، أصول التصوف، منهجية لدراسة التصوف، المركز القومي للإنتاج الإسلامي، 1995.

-عبد القادر بوعقادة، السلطة الرمزية في مخيال المغرب الإسلامي، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، العدد التاسع، ماي 2018، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة يحي فارس بالمدية.

-عبد الواحد ذو نون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، 2004

-عبد الوهاب فرحات، أبو مدين شعيب ومكانته في التصوف المغربي، جامعة الأمير عبد القادر.

-عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي مفهومه ونشأته، مجلة كلية التربية، كلية الشريعة والقانون، العجيلات جامعة الزاوية، 2019.

-علي محمد الصلابي، العالم الكبير والمربي الشهير عبد القادر الجيلاني، ط1، مؤسسة إقرأ،1428 هـ/2007م.

- عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد والقدوة، ط1، دار القلم، دمشق، 1414، 1994.

- عمر سليم عبد القادر التل، متصوفة بغداد في القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي، دار المامون، الأردن، 2009/1430.

-فؤاد طوهارة، الطقوس والممارسات الرمزية في مجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، قراءة في الوظائف والدلالات.

-مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م.

-محمد بن الطيب، اسلام المتصوفة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2008.

-محمد جربي، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، ط1، عالم الكتب،1407،1987.

-محمد جندلي، عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافية في القديم والوسيط، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 1429هجري/2008ميلادي.

-مرزوق بتة، مدينة بونة وموقعها الإستراتيجي في العصر الوسيط، جامعة المسيلة.

-نورة رجاني، الملتقى الدولي، البعد الوظيفي للتصوف عند سيدي أبي مدين شعيب الغوث، مركز الدراسات الأندلسية، تلمسان.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الأول:التصوف في الغرب الاسلامي(الأصول والانتشار)	
المبحث الأول: نشأة التصوف الإسلامي	ص08
المبحث الثاني: ظهور التصوف ببلاد المغرب الإسلامي	ص14
المبحث الثالث: بواكير الفكر الصوفي المغاربي	ص20
المبحث الرابع: ظاهرة الولاية في الفكر الصوفي المغاربي	ص30
الفصل الثاني: عنابة المدينة والمجتمع في العصر الوسيط	
المبحث الأول: عنابة في مصادر العصر الوسيط	ص39
المبحث الثاني: المجال العنابي وحدوده	ص42
المبحث الثالث: المجتمع العنابي في العصر الوسيط	ص46
المبحث الرابع: الحياة الدينية في عنابة الوسيطية	ص51
الفصل الثـالث: الظاهرة الصوفية في عنابة في العصر الوسيط وبداية الفترة الحديثة	
المبحث الأول: أبرز أولياء عنابة	ص55
المبحث الثاني: السرديات الكرامية لأولياء عنابة	ص73
المبحث الثالث: أضرحة عنابة (كثافة الإنتشار الصوفي)	ص81
خاتمة	ص86
مصادر ومراجع البحث	ص88

تمت بحمد الله